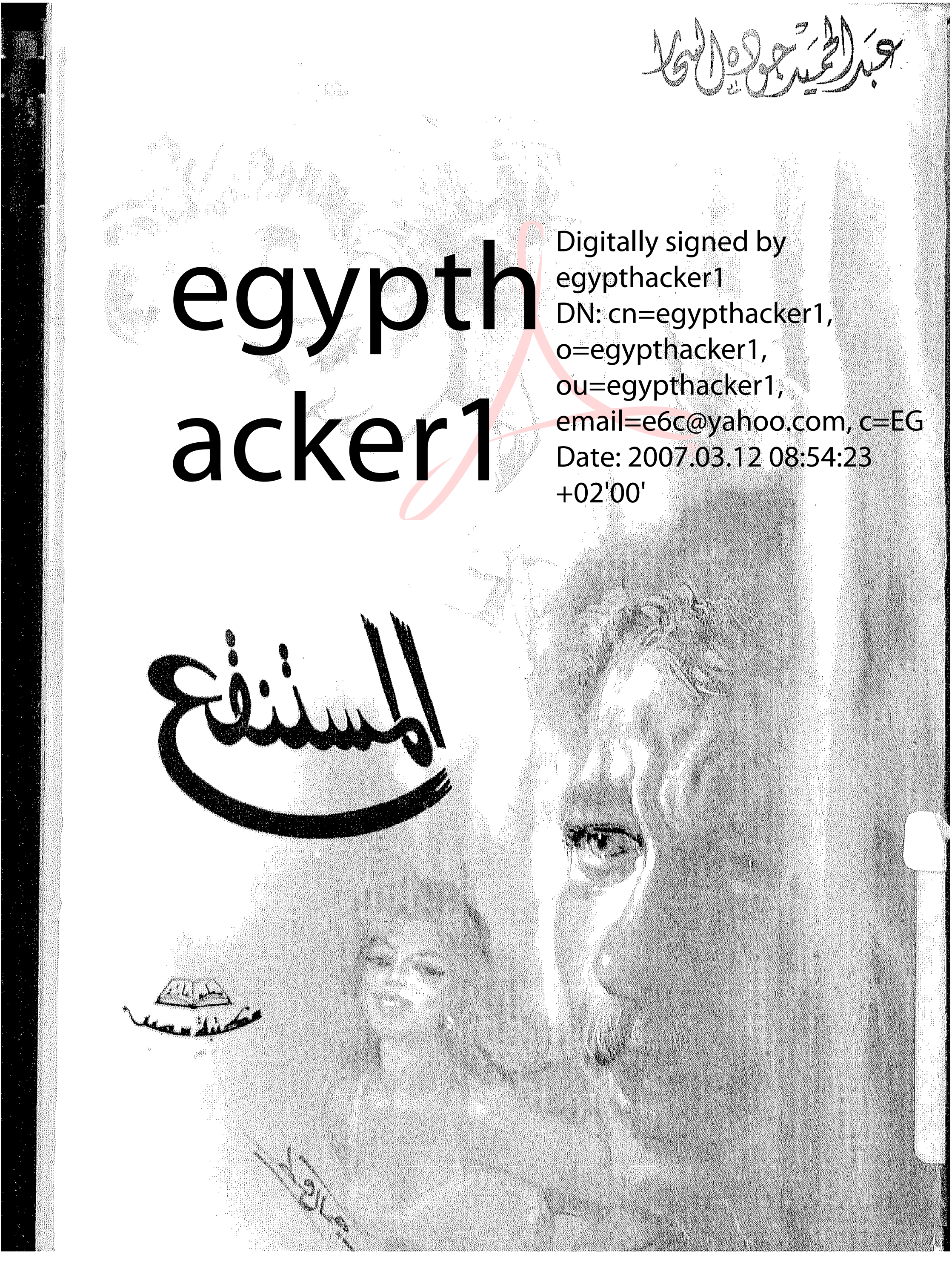

عبد الحميد جودة السحار
المستنقع
مكتبة مصر

مطبوعات مكتبة مصر

المستنقع

تاليف

عبد الحميد جوده السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

١

ـــ لا بد أن نتزوج .

ـــ تريث يا فؤاد .

ـــ نفد صبرى ، سنة كاملة وأنا أنتظر ، لم أعد قادرا على كبت مشاعرى ، النار تتلظى فى جوفى كلما ضممتك إلى صدرى ، والوساوس تتضخم فى رأسى وتنساب كالأبالسة تفح فى أعماق تغرينى بك ..

بت أخشى نفسى ، أخاف أن ينتصر ضعفى ، أن يفلت منى زمام أمرى ، أن أرتكب ما أخشاه . إن كبح مشاعرى الفوارة يرهقنى ، يستبد بى ، يزلزل كيانى ، حتى إننى أرتجف كلما وقع فى خلدى أن إرادتى قد تتقوض ، وأن الوحش المتربص فى أغوارى قد ينطلق .

لو عصفت بنا رغبتنا واستسلمنا للإغراء لن أغفر لنفسى ، سأحيا قلقا معذبا ، فأنا أريد زوجتى طاهرة الذيل حتى ليلة الزفاف .

وتلفتت سهير فى قلق ثم قالت :

ـــ لو رفضوا زواجنا لانهارت آمالنا ، وتحطمت سعادتنا ، وتلاشى الحلم اللذيذ الذى نعيش فيه .

ـــ إننا نهاب وهما ، فكرة نبتت فى رأسك وجعلت تنفخين فيها يوما بعد يوم حتى صارت ماردا جبارا يفزعنا ، إننى لا أدرى لماذا يرفضون زواجنا ..؟

قالت سهير فى إشفاق :

ـــ قلت لك لن يوافقوا أبدا على أن أتزوج قبل سوسن .

ـــ ألأنها أكبر منك لا بد أن تتزوج أولا ؟ ما أحسب أن هذا يكون .

فقالت سهير فى خوف :

ـــ إنك لا تعرف سوسن ، أمى تتحاشى غضبها وتخشى ثورتها ، وأبى ترك لها الحبل ..

وصمتت سهير . لم تشأ أن تسترسل فى ذم أختها . وأحست تضاؤلا . وقال فؤاد فى غضب :

ـــ سوسن .. سوسن ، أتقف سوسن فى سبيل سعادتنا دون أن نحرك ساكنا ؟ وما ذنبنا إذا كانت سوسن لم يخفق بحبها قلب ولم يتقدم لطلب يدها إنسان . صرت أمقت سوسن دون أن أراها ، غرست فى قلبى بغضها ، بت أتصورها غولا منقضا لاختطاف هناءتى ، وحشا مكشرا عن أنيابه لافتراس سعادتى ، عاصفة هوجاء تقتلع أمنى .

وصمت قليلا يلتقط أنفاسه ، وراحت ثورته تهدأ وانقشع غضبه ، فهو سريع الانفعال ما أسرع أن يغضب وما أسرع أن يرضى ، وأحس أنه كان قاسيا على سوسن فقال فى هدوء :

ـــ ماذا فعلت سوسن حتى نطوى قلوبنا على بغضها ؟ إنها لم تفعل شيئا ولا تدرى ما بيننا ولا تحس وجودنا ، إنها أوهامنا تبذر فى نفوسنا البذرة ثم تتركها لنا نرعاها ونسقيها ونجنى الأباطيل .

ولمحت سهير رجلا قادما فأطرقت وأشاحت بوجهها حتى لا يراها ، وفطن فؤاد إلى حركتها فتحركت ثورته وقال فى انفعال :

ـــ حتى متى نخشى أن يرانا الناس معا ؟ إننا ننسل كاللصوص إلى هنا

ونحن نتلفت كأننا خفافيش الليل جئنا نقطف الثمرة المحرمة ، تنخلع قلوبنا ما دنا منا إنسان ، يرهبنا صفير الرياح أو حفيف الشجر ، إن ما بيننا يجب أن يعلن ، أن يعرف الناس جميعا أننا متحابان . أفى الحب عيب ؟ ولكنها مخاوفك وأوهامك ، لم أعد أحتمل هذا الهوان .

وقام فؤاد ونهضت سهير وسارا فى طريق رملى وقد خلفا المقهى القابع فى الصحراء خلفهما ، ثم انطلقا فى الطريق العام .

كان فؤاد طويل القامة ، عريض الكتفين ، له قوام رياضى . وكان شعره أسود خشنا أقرب إلى فرشاة الشعر ، وكان مقرون الحاجبين ، واسع العينين ، بارز الفكين ، يزين وجهه شارب قصير تحت أنفه الأشم ، وكانت ملامحه توحى بالصرامة ولكنها ما كانت تكشف عن حقيقة معدنه ، كان طيب القلب ، سليم الطوية ، ما أيسر أن يخدع .

وكان بارز العضلات قوى البنية ، ولكنه لم يكن جريئا ، فما أسرع أن ينكمش ويدخل قوقعة نفسه إذا استشعر أنه ارتكب خطأ . وكان يتحمل نتائج أخطائه لا عن شجاعة فيه ، بل خشية ألسنة الناس .

كان يرتدى قميصا أبيض قصير الكمين مفتوح الصدر ، يكشف عن ذراعين مفتولتين ، وعن الشعر الغزير الذى يغطى صدره ، والسلسلة الذهبية الرفيعة التى تطوق عنقه ، وتنتهى بدائرة حفر فيها اسمه .

وكانت سهير فى الثامنة عشرة ، كانت تصغره بخمس سنوات أو ست على الأكثر ، ولكنها كانت أكثر منه تجربة ومعرفة بالحياة . لم تكن قصيرة القامة ، ولم تكن فارعة الطول ، كانت وسطا وإن كانت لا تكاد تصل إلى كتفه . وكانت ترتدى قميصا ضيقا يجسم فتنتها و« جونيلة » واسعة تحدد الخصر وتغطى الساقين المتناسقتين والأرداف المستديرة الممتلئة .

وكان شعرها أسود يتهدل على كتفيها ، وعيناها دعجاوين ، وشفتاها رقيقتين . وكانت بسمتها سر فتنتها ، إذا انفرجت عن أسنانها النضيدة تفتحت القلوب . كان فيها ذلك الشيء المجهول الذى يجعل النفوس تهفو إليها .

كانت تحبه ، وكانت صادقة فى حبها ، تتمنى أن يغريها على الفرار وأن يواجها العالم معا فى صباح يوم ويعلنا أنهما قد صارا زوجا وزوجة ، ولكنه لم يكن من ذلك الطراز . إنه يريد أن يأتى البيوت من أبوابها ، وإنها لتهاب من كل ما يتربص بها خلف الأبواب .

وكانت مصابيح الطريق خافتة لا تكاد تبدد الظلام الدامس الثقيل . وكان الهدوء شاملا يحرك المشاعر ، ويعبث بالأفئدة ، ويدير الرءوس .

والتصقت سهير به ، فالتفت ذراعه المفتولة حول خصرها الدقيق ، ونبتت إحساسات لذيذة فى أعماقه ، وتدفقت الدماء حارة فى عروقه ، واهتزت خلجات نفسه فى مرح ، ومشى فى أوصاله خدر لذيذ ، واستشعر رغبة فى أن يضمها إليه . ونامت أجهزة التخدير ، فاحتواها بين ذراعيه القويتين ، وهوى بشفتيه على شفتيها يعب خمرها التى أدارت رأسه .

ووسوست له نفسه أن يعب كأس اللذة كاملة ، أن يطفئ النار التى تتلظى فى أحشائه ، أن يميت الرغبة الجامحة التى تعصف به ، أن يغيب عن وجوده فى الغيبوبة المشتهاة التى أخذت تلفه وتدغدغ جوارحه . ولكنه أصم أذنيه عن الوسوسة الحبيبة ، لا عن قدرة ، بل لأنه كان أضعف من أن يستجيب لها .

إنه يجفل من الفكرة ، يهابها وتذهب نفسه منها شعاعا . ولو أن سهير لم

تكتف بالاستسلام له ، بل تحركت حركة ، لاجتاز العقبة ولقطف ما يشتهيه ، وإن تشدق بأنه لا يرضاه .

وأفاق من خدر القبلة ، إنها أقصى ما يستطيع أن يناله وإن لم تكن نهاية أمانيه المجنحة . وراح يوهم نفسه أنه يتعفف وأنه يترفع عن الدنايا ، وأرضى ذلك غروره فأبعد سهير عنه وقال :

ـــ لا ، لا بد أن نتزوج .. لا بد أن نتزوج .

٢

وقفت أمام المرآة تديم النظر إلى نفسها فى إعجاب ، إنها بيضاء البشرة ، متناسبة التقاطيع ، ممشوقة القد ، ونظرت إلى صدرها الشامخ فى كبرياء ، ثم مدت يدها تصلح « الستيان » لتمكن حلمة ثديها من البروز .

وعادت تتفرس فى وجهها ، وترنو إلى عينيها العسليتين ، وترفع طرف سبابتها وتمرره على أهدابها الوطف ثم تلمس شعرها الذى عقصته بأطراف أناملها ، وتعيد بعض شعرات شاردة إلى أماكنها .

ومسحت بخنصرها بعض الأحمر الزائد فى شفاهها الغلاظ الممتلئة ، ثم مدت يدها وتناولت زجاجة العطر ، وفتحتها وراحت تمسح غطاءها البلورى تحت إبطيها . وارتفع صوت نسائى ينادى :

ـــ سوسن .. سوسن ..

ـــ نعم يا ماما ..

ـــ السمك فى المطبخ فاحت رائحته .

ـــ قلت مائة مرة لا أنظف سمكا ولا أقليه .

ـــ جاء يا بنتى وقت الغداء .

ـــ ينتظر حتى تأتى سهير .

ـــ ودارت على عقبيها ، والتفتت تنظر إلى ظهرها فى المرآة ورفعت ثوبها عن ساقيها فبدتا متناسقتين كأنهما ساقان بالغ فى إبراز فتنتهما مثال . وتحرك غرورها فراحت ترمز لنفسها بعينها .

وتلفتت فى الغرفة : كانت بسيطة غاية البساطة ، بها سريران وصوان قديم ، وتسريحة عتيقة ، ولا شىء غير هذا . واتجهت إلى سريرها وبسطت الثنيات التى كانت فى المفرش ، ثم اتجهت إلى سرير سهير وجذبت المفرش من أحد أطرافه فتهدل .

وارتسمت على شفتيها بسمة خبيثة ، وسارت تتبختر .

ثم خرجت إلى ردهة بها بعض مقاعد ، وكنبة « اسطنبولية » فى الصدر جلست عليها أمها ، ونضد مرتفع عليه صينية بها ثلاث قلل غطيت بأغطية من الفضة . ونظرت أمها إليها فلما وجدتها قد تزينت ، مصمصت بشفتيها ولم تنبس بكلمة .

وغاصت سوسن فى مقعد ، وتناولت مجلة وعكفت على تصفحها وقد وضعت ساقا على ساق ومالت على جنبها وارتفع عجزها . وجعلت أمها ترمقها ، ثم غادرت كنبتها « الاسطنبولية » واتجهت إلى المطبخ .

وتقضى بعض الوقت وسوسن تتململ فى جلستها وهى تقرأ ، تميل على جانبها الأيمن مرة ، ولكنها سرعان ما تغير جلستها فتميل على جانبها الأيسر . ثم ترفع ساقا على الأخرى ، ثم تعود فتنخفض الساق المرفوعة لترفع فوقها الثانية .

وفجأة أرخت يدها بالمجلة وراحت تتشمم وقد اقشعر وجهها ، فقد

نفذت إلى خياشيمها رائحة السمك . فنظرت إلى باب المطبخ ، ثم نهضت واتجهت إليه وأغلقته على أمها ، وعادت لتغوص فى مقعدها وتستأنف قراءتها .

ورن جرس الباب وسوسن لا تتحرك ، واستمر رنينه وقد أصمت أذنيها عنه . وتردد الرنين المتواصل فى جنبات الشقة ، ففتحت الأم باب المطبخ وقالت :

— يا بنتى افتحى الباب ، الجرس أقلق الجيران .

— إنها سهير . قلت لها ألف مرة تدق الجرس مرة واحدة .

— افتحى الله يهديك ..

وقامت وهى متبرمة ، وذهبت إلى الباب فى خطوات وئيدة ورنين الجرس مستمر ، وفتحت الباب دون اكتراث ، ثم عادت إلى مقعدها وهى تتبختر ولم تكلف نفسها مشقة التطلع إلى القادم ، واضطجعت ووضعت ساقا على أخرى .

ودخلت سهير وفى يدها كيس من الورق ، يعلن أنها اشترت شيئا جديدا . ووقعت عينا سوسن على الكيس ، فاعتدلت فى مقعدها ، ورنت إلى ما فى يد سهير رنوة طويلة ، ثم قالت :

— ماذا اشتريت ..؟

فقالت سهير وهى تسير فى طريقها إلى غرفتها :

— لا شىء .

فنهضت سوسن واعترضت طريقها وقالت :

— وما هذا الذى فى يدك ؟

فقالت سهير فى عناد :

— هذا شيء يختص بى .

وأخفته سهير خلف ظهرها لتبعده عنها ، فقالت سوسن فى تهديد :

— أرينى .

— لا .

فتقدمت سوسن خطوة وقالت :

— أرينى .

— لا .

فتقدمت سوسن خطوة ثانية وقالت :

— أرينى .

وتأهبت سهير لتصد هجومها ، وقالت وهى تضغط بيدها على الكيس :

— لا .

فرفت على شفتى سوسن ابتسامة هازئة وقالت :

— لا ينفع الذوق معك .

وهجمت على سهير وقبضت على يدها وراحت تلويها ، ولكن سهير دفعتها بعيدا عنها . فعادت سوسن وقد ازدادت ضراوة ودفعت سهير فى المقعد ، وجثمت عليها ، وجعلت تحاول جاهدة أن تفك قبضتها عن الكيس بيديها . واستماتت سهير وهى تقاوم أختها ، ولكن سوسن جذبت الكيس جذبة قوية فصار فى يدها ، بينما ظلت سهير متشبثة بقطعة من الورق .

وابتعدت سوسن وقد التمعت عيناها ببريق الفوز ، وراحت تخرج ما فى الكيس . ونهضت سهير وهجمت على سوسن ، ولكن سوسن

مدت ذراعها لتمنعها من الوصول إليها بينما رفعت بيدها الأخرى الحقيبة الأنيقة التى كانت فى الكيس ، ونظرت إليها فى اشتهاء وقالت :

ــ رائعة .. سآخذها .

فقالت سهير وهى تحاول أن تستخلصها من يدها :

ــ لا .. لا .. لن أتركها لك أبدا .

ــ سأدفع لك ثمنها .

فهجمت سهير لتنتزعها من يدها وهى تقول :

ــ لن أتركها لك أبدا .

وتشابكت الأختان ، وتقهقرت سوسن حتى وصلت إلى النافذة ، فمدت منها يدها القابضة على الحقيبة وقالت :

ــ لو تحركت أية حركة فسألقى بها فى الطريق ، ولن أدفع ثمنها .

فصرخت سهير وراحت تنادى :

ــ يا ماما .. يا ماما .

وأقبلت الأم ملهوفة فى يديها آثار السمك ، وقالت فى فزع :

ــ ماذا جرى ؟ ماذا جرى ؟

وتحدثت سوسن وسهير معا :

ــ كلما أشترى شيئا تغتصبه منى .

ــ الحقيبة أعجبتنى وقلت لها سأدفع ثمنها .

فقالت الأم فى يأس :

ــ يقطعنى .. يقطعنى .

قالت سهير :

ــ الحقيبة حقيبتى .. وأنا التى اشتريتها .

وقالت سوسن فى هدوء :

ـــ سأدفع لك ثمنها .

فقالت الأم فى ضعف :

ـــ انتهى يا سهير .

فقالت سهير فى ثورة :

ـــ الجيبون أخذته ، التايير أخذته ، الحقيبة أخذتها . ما من شيء اشتريته إلا أخذته . إنها ليست فى حاجة إلى ما تأخذ . إن عندها حقيبة جديدة ، ولكنها تريد أن تحرمنى حقيبتى . الحقيقة أنها لا تحب أن ترى عندى شيئا جديدا .

فقالت سوسن فى بساطة :

ـــ إننى أدفع ثمن ما آخذه .

فقالت سهير فى غضب :

ـــ أنانية .. عرسة .

وصمتت قليلا ثم قالت :

ـــ العرسة تدخل عشة الدجاج ولا تترك دجاجة دون أن تخنقها . إنها لا تأكل الدجاج ولا تشرب دمه ولكنها خلقت للأذية ، وأنت مثلها خلقت للأذية .

فقالت الأم فى أسى :

ـــ كفى يا سهير .

فقالت سهير فى حنق :

ـــ دائما تقفون فى صفها ، دائما تنصرونها علىّ ، إنها ابنتكم أما أنا فبنت الجارية .

وأحست الأم يدا قوية تهصر قلبها . كانت سهير تقول حقا . إنها تستشعر فى أعماقها أسى ، فهى تقف على الدوام فى صف سوسن وإن كانت مخطئة ، وهى غالبا مخطئة ، لتدارى رعونتها . ودنت الأم من سهير وقالت فى صوت خافت :

ـــ أنت عاقلة يا سهير .

وضمت سوسن الحقيبة إلى صدرها ، وابتسمت ابتسامة هازئة ، ودارت حول نفسها دورة كأنما ترقص .

وأحنق سهير هزيمتها فانطلقت إلى غرفتها غاضبة ، ووقفت أمام سريرها تنظر . رأت المفرش المتهدل فتطلعت إلى حيث تقف سوسن فى حنق ، ثم ذهبت إلى الباب وأغلقته فى وجهها .

٣

كاد الليل أن ينتصف والأم حائرة لا تغمض لها عين . يلفها اضطراب وقلق بعد أن جاءتها خادم عجوز وأسرت إليها أن شابا يتقدم لخطبة سهير ، ووضعت فى يدها بطاقته .

لو أن ذلك الشاب الذى تحدثت عنه الخادم جاء يخطب سوسن لامتلأت غبطة ، ولأعلنت سعادتها . أما أن يتشبث بسهير فهذا ما يثير مخاوفها ويجعلها تعيش فى رهبة : إنها تحب ابنتيها ، وغاية أمانيها أن يسعدا فى الحياة . ولكن زواج سهير قبل سوسن سيجرح كبرياء سوسن ويملؤها حنقا وغيرة ، ويؤجج فى جوفها نار الكراهية لأختها .

وتسللت الأم إلى غرفة ابنتيها النائمتين ، واقتربت من سوسن ورنت

إليها فى عطف وحنان ، ثم مدت يدها وراحت تمررها على شعرها . وتحرك أساها فارتسمت الشفقة فى وجهها . كانت سوسن فى تلك اللحظة أقرب إلى قلبها من سهير ، فإنها تستشعر فى قرارتها أن خطرا يحوم حولها.

ونظرت إلى سهير شاردة ، وأحست همسا يهمس فى أغوارها أنها تجور عليها . جاء شاب يطلبها ، فلماذا تتمنى من كل قلبها لو أنه تقدم يطلب سوسن ؟ ماذا تفعل سهير لو عرفت حقيقة مشاعرها ، وماذا هى قائلة لو عرفت أنهم رفضوا شابا جاء يطلبها لأنه لم يتقدم إلى سوسن ، أو لأن سوسن لم يتقدم إليها أحد .

« إنها لن تغفر لى ، ستصيح فى وجهى قائلة إننا نقف دائما فى صف سوسن وننصرها عليها . ليت سهير تعرف حقيقة ما يكنه لها قلبى : إننى أحبها كما أحب سوسن ، وإذا كنت أميل إلى سوسن أحيانا فلأنها تحتاج إلى رعاية أكثر . كانت البكرية فأفسدناها بتدليلنا » .

وغادرت الغرفة وهى نهب لأفكارها ، وذهبت إلى الكنبة وجلست وفى صدرها معركة من العواصف المتضاربة ، وراح الهامس يهمس : « أفسدناها بتدليلنا » ؟

« لم يدللها أحد غيرى . إن جلال كان مشغولا عنا بسهراته ومغامراته ، تركنى وليس معى أحد غيرها ، كانت كل حياتى فمنحتها حبى .

وتزوج جلال امرأة غيرى وراح يمضى أغلب لياليه مع زوجته الثانية ، فكانت سوسن المنفس لعواطفى الرقيقة والملتهبة معا ، كان ينخلع قلبى إذا بكت وتنعم الدنيا بالسعادة إذا أشرق وجهها بالابتسام : إنها ابنة عمرى .. إنها شبابى .. وذوب فؤادى ..» .



وسمعت حركة فى الشارع فأسرعت خافقة القلب تنظر ، وأطلت من الشباك ثم عادت يائسة : لم يقبل بعد . وعادت إلى جلستها وراح الهامس يهمس : وسهير ؟ كنت أتمنى أن تجىء ولدا ولكنها جاءت بنتا .. لم أحزن وقلت ستكون أختا لسوسن تفتح كل منهما قلبها للأخرى .. وقد أحببتها وكان حبى لها يربو على الأيام .

ومس أذنيها وقع حوافر خيل على الطريق ، فهرعت إلى الشباك ونظرت فرأت جلالا يهبط من عربة يجرها جوادان ويمد يده فى جيبه ويخرج كل ما تصل إليها من أوراق مالية ويضعها فى كف الحوذى المبسوطة ، ثم يسير وهو يترنح .

كان جلال قصير القامة ، منتفخ الكرش ، على رأسه طربوش وفى يده منشة من العاج والشعر الأبيض ، يعتنى بهندامه ، وفى عروة جاكتته وردة حمراء . غاب فى باب البيت ، وصعد الدرج يدندن : يا سمر .. يا سمر .. يا سكر .. يا سكر ، وبرم شاربه ولعب حاجبه ، ثم مد يده فى جيبه يخرج المفتاح .

وهم بوضع المفتاح فى الباب ، وإذا بالباب ينفتح ، فيرتد إلى الخلف خطوة ويغمغم :

— بسم الله الرحمن الرحيم .

ورأى زوجه واقفة فى النور ، فهدأت نفسه وقال :

— أهو أنت .. مساء النور .

ودخل يترنح تفوح منه رائحة الخمر ، وقال :

— لماذا أنت مستيقظة حتى الساعة ؟

وابتسم ورفع حاجبه وعبث بشاربه فقد حسب أنه حزر سبب انتظارها ، وقال :

ــ آه .. نامت سوسن وسهير ..

ثم قال بصوت خافت وهو يلف ذراعه حولها ، ويقرب فمه منها :

ــ تعالى .. هاتى ..

وقبل أن يقبلها دفعته فى رفق وقالت :

ــ أفق .. أريد أن أحدثك فى أمر هام .

واتجه إلى غرفته وراح يخلع ثيابه ويلقى بها هنا وهناك وهى تلتقط ما يلقى وتضع كل شىء فى مكانه ، ثم ارتدى بيجامة من الحرير المخطط ، وجلس على حافة السرير وقال وهو فاتح ذراعيه كأنما يتأهب لاستقبال طفلة تحبو :

ــ حبا .. حبا .. تاتا .. تاتا ..

قالت الزوجة وهى برمة به :

ــ أفق يا رجل .. أريد أن أتحدث معك فى أمر هام .

فقال وهو يبتسم :

ــ قلت لى أهم نبأ : نامت سوسن وسهير .

ومال ووضع رأسه على الوسادة وقال :

ــ تعالى ..

ثم راح فى سبات وهى تنظر إليه محسورة .

واتجهت إلى سريرها وارتمت فيه وأغمضت عينيها ، ولكن لم يعرف النوم سبيله إليها . كانت أفكارها ترهقها ، ويزيد فى ضيقها غطيط الزوج السكران .

وأصبح الصباح وقام جلال وهو يحس صداعا ، وفتح عينيه فرأى زوجته أمامه كطيف فقال :

— فنجان قهوة سادة .

— سأعده لك بعد الإفطار .

— أريده الآن .

وخرجت الزوجة وقام يتمطى فى حركات أقرب إلى الرقص ، حتى إن كرشه كانت تهتز وتتحرك من أعلى إلى أسفل حركة الموج .

وجاءت زوجته وقالت له :

— نمت جيدا ؟

— أطار شخيرك النوم من عينى ، ضعى رأسك على الوسادة جيدا .

وقدمت إليه البطاقة وقالت :

— يريد أن يتزوج من سهير .

ونظر إلى البطاقة فى اهتمام وقرأ : فؤاد سالم ، ثم التفت إلى زوجته وقال :

— ماذا تعرفين عنه ؟

فقالت فى انفعال :

— قالت الخادم التى أتت بالبطاقة إنه فى الخامسة والعشرين من عمره ، موظف فى الحكومة ، مرتبه ثلاثون جنيها ، ليس له أقارب هنا ، كل أهله فى الأرياف . وقالت إنه طيب وابن حلال .

فقال وهو شارد :

— لو كان هذا صحيحا فلا مانع عندى .

فقالت الأم فى دهش :

ـــ وسوسن ؟

ـــ مالها ؟

ـــ كيف توافق على زواج سهير قبل أن تتزوج سوسن ؟

وأطرق الرجل قليلا ثم قال :

ـــ وماذا نستطيع أن نفعل ؟

ـــ نعرض عليه سوسن ونقول له : إن سوسن أخت سهير .

ـــ وإذا أصر على أن يتزوج سهير نرفضه ؟!

وخفق قلب الأم فى شدة ، ولاح فى وجهها القلق ، وظلت صامتة ، فدنا جلال منها وقال :

ـــ لا أستطيع أن أرفض شابا جاء يطلب يد ابنتى ، لا عيب فيه إلا أنه طلب الصغرى ولم يطلب الكبرى . ستتزوج سوسن ويأتيها ابن الحلال كما جاء ابن الحلال لسهير .

وترقرقت الدموع فى عينى الأم وغمغمت :

ـــ كبدى يا بنتى .

فقال ليقنعها :

ـــ إذا رفضناه لا طلنا عنب الشام ولا بلح اليمن .

وخرجت الأم من الغرفة وهى مشتتة العواطف لا تدرى أتبتهج أم تحزن ، أتضحك أم تبكى ، واختلطت عليها مشاعرها فانهمرت الدموع من مقلتيها ، وجعلت تجففها وهى تحس راحة .

وعادت تحمل صينية القهوة ووضعتها على نضد فى الغرفة ، وقالت وهى تصب القهوة :

ـــ الشاب يريد أن يقابلك .

فقال وهو يتناول الفنجان :

ــ يقابلنى فى القهوة يوم الخميس .

ــ ولماذا لا تقابله هنا ؟

ــ لا أحب أن أخدع الناس . يجب أن يعرف من الآن أننى مدمن .. مدمن قهاوى .

ــ ولماذا لا تقابله غدا أو بعد غد ؟

ــ أريد أن أسأل عنه قبل أن أقابله .

وصمتت الأم قليلا ثم قالت فى لهجة حالمة مشوبة باليأس :

ــ لو لم تضيع البيتين على مزاجك لكانا نفعا الآن .

فقال وهو يتنهد :

ــ آه لو يعود البيتان .

فقالت فى شماتة :

ــ ندمت بعد فوات الأوان .

فقال وريقه يتحلب :

ــ من قال لك إننى نادم ، إننى أتمنى عودتهما لأضيعهما مرة ثانية على مزاجى .

وصمتت وشردت . وصب جلال القهوة مرة أخرى فى الفنجان ، وانتبهت الأم فجأة وقالت :

ــ بالله لا تنس أن تعرض عليه سوسن .

فقال جلال فى ضيق :

ــ والله العظيم سأقول له إن سوسن أخت سهير ، وإنها جميلة أجمل من سهير ، وإنها ابنتنا البكر ، وإننا نتمنى أن تتزوج أولا .

ولم تأبه الأم بضيقه ، واتجهت إلى القبلة ورفعت أكف الضراعة إلى السماء ، وقالت فى حرارة ودموعها تجرى على خديها :

ـــ يارب اجعله من نصيب سوسن .. من نصيب سوسن يارب .

٤

راح فؤاد يدخن ويتلفت فى قلق ، وأخذ صديقه عمر يقرأ فى جريدة والتاكسى منطلق إلى المقهى ، فقد كان اليوم يوم الخميس .

وكان فؤاد يستشعر رهبة على الرغم من وجود صديقه إلى جانبه ، ورأى أن يتكلم ليفر من هواجسه فقال :

ـــ لست أدرى ماذا أفعل لو رفض أبوها !

فقال له عمر فى هدوء :

ـــ أظن لن يرفضك .

وعاد عمر إلى الصحيفة يلتهم ما فيها ، وقال فؤاد وهو حالم :

ـــ قلبى يُحدثنى أننى مقبل على السعادة .

ولم يرفع عمر عينيه عن الصحيفة ولم ينبس بكلمة ، فقال فؤاد :

ـــ ما هذا النبأ الذى استولى عليك وشغلك عنى ؟

فقال عمر وقد نحى الصحيفة ووضعها على ركبتيه :

ـــ جريمة ، شاب قتل عشيقته .

فقال فؤاد فى امتعاض :

ـــ ما أبشع أن تزهق نفس ، من يقتل ليس بإنسان .

فقال عمر وهو يعمل فكره :

ـــ يعيش القاتل قبل أن يرتكب جريمته فى مستنقع من البغض يعب فى مائه الآسن ، ويستنشق هواءه الفاسد ، ولا يرى إلا من خلال ضبابه الكريه ، ويتبدل فى لحظة فتمده نفسه المتقيحة بالصديد ، فيسرى فى كيانه مسرى الدم .

فقال فؤاد ليسترسل فى الحديث حتى يعود إليه هدوؤه ، وينقشع ذلك الانفعال المنبثق فى أعماقه :

ـــ القاتل مجنون .

ـــ قد يكون من أعقل الناس . إنها لحظة لا شعورية تلك التى تنفصم فيها شخصيته عن ذاته ويقدم فيها على ارتكاب جريمته . فقد تجد نفسك مرة فى ظروف تدفعك إلى القتل .

فقال فؤاد فى فزع :

ـــ أعوذ بالله !

وابتسم عمر وقال :

ـــ ما أكثر العقلاء الذين رأيتهم فى قفص الاتهام متهمين بالقتل .

ـــ وأين رأيتهم ؟

فقال عمر فى انكار :

ـــ ألا تعلم أننى من هواة حضور جلسات محكمة الجنايات ؟!

ـــ لا ، ولكننى أعلم أنك من قراء الروايات البوليسية ومشاهدى أفلام الجريمة والقتل .

فشرد عمر قليلا وقال :

ـــ أليس عجبا أن نجد فى مصائب الناس لذة ؟

ووقفت السيارة أمام المقهى فعاد إلى فؤاد اضطرابه ، وهبط وهو زائغ البصر ونظر فى العداد ودفع إلى السائق جنيها ووقف ينتظر الباقى ، ولاحظ عمر قلقه فدنا منه وقال :

— إننى لم أفعل مثل انفعالك هذا ليلة زفافى .

فقال فؤاد وهو يحاول أن يبتسم :

— لأنك كنت واثقا من أنك ستتزوج ، أما أنا فلا أدرى أأقبل أم أرفض .

ومد عمر بصره وراح يتفرس فى القهوة وقال :

— هل تعرفه ؟

— إننى لم أقابله ، ولكننى جئت أمس إلى القهوة وسألت الجرسون عنه فدلنى عليه من بعيد .

وتقدم الشابان إلى حيث كان جلال ، كان فؤاد شامخا بقامته الطويلة وقد تألق فى ملبسه وبالغ فى زينته ، بينما سار عمر إلى جواره بقامته المتوسطة وثيابه البسيطة النظيفة ونظراته المتحررة .

ووقف الشابان عند رأس جلال . كان منهمكا فى لعب الطاولة مع صديق وأحس وقوفهما ولكنه استمر فى لعبه ، وبعد أن نقل حجرا التفت إليهما ونهض مرحبا :

— أهلا وسهلا .

ومد فؤاد يده وصافحه وهو يقول :

— فؤاد سالم .

ثم التفت إلى عمر وقال :

— صديقى عمر .

ـــ تشرفنا .
ومد جلال يده وجذب كرسيين وضعهما عن يمينه ويساره ، وقال :
ـــ تفضلا .
وجلس الشابان . وصفق جلال فأسرع إليه الجرسون فقال له :
ـــ اثنين ليمون .
والتفت إلى الشابين وقال :
ـــ آسف ، لا يوجد هنا مايشرب إلا القهوة والليمون والشاى والينسون وماأشبه .
وضحك جلال وفهمها عمر فابتسم ، أما فؤاد فقد راح يغمغم :
ـــ شيء عظيم .. شيء عظيم .
وعاد جلال وانهمك فى اللعب ، واشتدت حماسته فراح يسخر من منافسه ويقول :
ـــ يا غشيم ! أهذه لعبة ؟!
وألقى بالنرد وصاح وهو ينزل بالحجر الذى فى يده :
ـــ ضرب وغطى وخد خانة .
والتفت إلى فؤاد متهلل الأسارير وقال :
ـــ مسعد .
وخفق قلب فؤاد وراح يتابع اللعب فى اهتمام ، وأحس بغريزته أن مستقبله قد يكون معلقا بهذه الأحجار ، فلو كسب جلال فسيقبل عليه منشرح الصدر ، أما إذا خسر فمن يدرى ماذا يصدر عن نفس مهزومة .
وجاء الجرسون بالليمون ، وراح فؤاد يرشفه وعيناه معلقتان بالطاولة ، ولم يرتح إلا لما قهقه جلال وأغلق الطاولة وقال :

— راحت العشرة يا غشيم .. راحت صايمة .

ونظر إلى فؤاد مشرق الوجه وقال :

— من المقبولين إن شاء الله .

فاشتد وجيب قلب فؤاد وابتسم عمر ، والتفت جلال إلى صديقه وقال :

— عن إذنك .

وانسحب بعيدا هو وفؤاد وعمر ، وجلسوا صامتين برهة إلى أن قال عمر :

— جئنا ياعمى نسمع رأيك فيما عرضه فؤاد .. فؤاد شاب طيب وابن حلال .

فاعتدل جلال وبرزت كرشه ، ثم قال وهو يلتفت إلى فؤاد :

— والله يا بنى ما سألت عنك أحدا إلا أثنى عليك ، وإنه يسرنى أن أعطيك ابنتى ، ولكننى كأب أحب أن تتزوج الكبرى أولا . سوسن أخت سهير ولا تكبرها إلا بسنتين ، بل سنة وعشرة شهور على التحديد ، وهى أنضج وأجمل .. ماذا لو جئت معى لتراها ؟

فقال فؤاد وهو يتلعثم :

— ولكننى يا عمى ..

ولاحظ عمر تغيرا فى وجه فؤاد وأنه مقهور ، فقال على الفور وهو يبتسم :

— يدخل الإنسان ياعمى مطعما ، ويجد أصنافا كثيرة ، ولكنه لا يطلب إلا الصنف الذى يشتهيه .

فقال جلال وهو يضحك :

ـــ والله يا بنى إننى أشتهى كل الأصناف ، وآكل أى صنف يقدم إلىّ .

فقال عمر متملقا :

ـــ هذه قوة استعداد ، ولكن فؤاد إذا أحب صنفا يستطيع أن يصبر على طعام واحد .

وقال جلال وهو يصوب نظراته إلى فؤاد :

ـــ هيه .. مارأيك ؟

ـــ رأيى ياعمى أننى أريد سهير .

وأطرق جلال هنيهة وعبث فى شاربه ورمق الوردة الحمراء التى يزين بها عروة جاكتته وهو شارد ، ومشى القلق فى صدر فؤاد ولفه اضطراب وخيل إليه أن إطراقة الرجل قد طالت ، وتمنى أن يتحدث عمر ليخرجهم من هذا الصمت وراح يتطلع إليه يستنجده ، ولكن عمر لم ينبس بكلمة .

ورفع الرجل رأسه ثم قال :

ـــ أمرى لله .

ومد يده إلى فؤاد وقال له وهو يصافحه :

ـــ مبارك .

فقال فؤاد وهو يكاد يقفز من الفرح :

ـــ بارك الله فيك .

وصمت فؤاد ليسعد بالمشاعر السعيدة التى راحت تمور فى أعماقه ، وقال عمر :

ـــ يريد فؤاد أن يقدم شبكة وأن يدفع المهر ويؤجل العقد إلى ليلة الزفاف .

فقال الرجل فى بساطة :

— كما يريد .

وظلوا يتسامرون مدة ، ثم قام فؤاد مستأذنا وصافح الرجل وهو يشد على يده فى حرارة ، وسار عمر إلى جواره ، كان قلبه يرقص طربا ، فمد ذراعه إلى كتف عمر ، وضغط عليه ضغطة أودعها شحنة من المشاعر الطيبة اهتز لها قلب عمر وانشرح .

واستأذن جلال من صديقه وانطلق إلى البيت . كان مشغولا بأمر سوسن ومع ذلك كان يحس الطريق غريبا ، فإنه لا يذكر أنه عاد إلى داره فى الليل أبدا ومصابيح الحوانيت والمقاهى تتلألأ ، والناس فى غدو ورواح كأنهم فى مولد . وصعد فى الدرج متمهلا ، إنه لا يدرى ماذا يقول لسوسن ، وإنه ليحس الساعة أن أمر الإفضاء إليها بنبأ خطبة سهير ثقيل بغيض . كان يحسب الأمر هينا قبل أن يواجهه ، أما الآن فهو يقاسى من وطأته ، ويستشعر أن قلبه ينهصر انهصارا .

بنى فلسفته فى الحياة على أن النساء متاع ما خلقن إلا للتسرية وعبث الرجال . وكان يقسم أنهن بلا قلب ولا عقل ، فما باله يشفق على سوسن ويخشى خدش شعورها ؟

ودق جرس الباب ، ولأول مرة فى حياته يرتجف لرنينه ويحس له ترجيعا له معنى فى نفسه ، كان نذيرا بهبوب العاصفة .

ووطن نفسه على أن يتحمل سوسن إذا ثارت وأن يكفكف دموعها إذا بكت ، وأن يمسح جراح نفسها بحنانه ، وأن يخفض لها جناح الذل من الرحمة .

وفتحت سهير الباب ، ولما رأت أباها ارتسم فى وجهها دهش فما كان يعود فى مثل هذه الساعة ، وقالت فى صوت خافت :

— أتحس شيئا ؟

فقال وهو يغتصب ابتسامتة :

— أنا بخير .

ونظرت إليه زوجته وهى جالسة على الكنبة فخفق قلبها فى شدة . إنها تعلم أنه عاد بنبأ فؤاد ، ولكن ترى هل وافق على أن يتزوج سوسن ؟

وعادت تبتهل إلى الله فى أعماقها أن يحقق ما تتمنى .

وتلفت الأب وقال :

— وأين سوسن .

فقالت سهير :

— فى غرفتها .

فانطلق إليها منفعلا والأم ترقبه مرهفة الحواس ، متضاربة المشاعر ، متوترة الأعصاب ، تتلفت فى قلق .

وحزرت سهير أن هناك شيئا ، ولكنها لزمت الصمت ولم تحرك ساكنا .

ورأت سوسن أباها قادما فى المرآة فاستدارت تواجهه ، ووقف الأب برهة لا يتكلم ، ثم تقدم وضم سوسن إليه فى حنان وقال :

— إننى أعرف أنك عاقلة ، وهذا ما دفعنى إلَى أن أفضى إليك بالنبأ بنفسى . تعلمين أن الدنيا قسمة ، وأننا لا ندرى ماذا يجىء به الغد .

وفحصته بنظرات حائرة ، وفطنت إلى أنه يريد أن يفضى إليها بنبأ يسيئها ، فأصاخت سمعها وتحفزت . وقال فى صوت مضطرب :

— جاء إلىّ اليوم شاب يطلب سهير ، فقلت له إنك أجمل منها ، ولكنه أصر على سهير فلم أستطع أن أرفضه .. أنا واثق أن الله سيرزقك خيرا منه .

وصمت وهو يرمق سوسن مضطربا . لم تبك ، ولم ترتجف ، ولم يكفهر وجهها ، بل قالت فى صوت خافت :

— الله يهنيها به . .

أحس كلماتها تمزق قلبه ، وتحركت الدموع فى عينيه المتحجرتين فملأ الأسى أقطار نفسه ، وضغط على كتف سوسن وقال وهو يغتصب ابتسامة :

— كنت واثقا من أنك عاقلة .

وسار بها إلى حيث تجلس الأم وسهير ، وتطلعت الأم إلى وجه سوسن فعرفت كل شىء ، فغاص قلبها ، وجف حلقها ، وترقرق الدمع فى عينيها .

وقال الأب لسهير :

— جاءنى اليوم فؤاد .

ودق قلب سهير فى عنف واتكأت على يدها حتى لا تنهار ، ونظرت إليه فاغرة الفم وقالت فى صوت خافت كله توسل :

— وماذا قلت له ؟

فقال الأب وهو مطرق ، يضغط على سوسن ويضمها إليه :

— مبارك .

وأجهشت الأم بالبكاء ، ووقف الأب موزع العواطف ، وترددت أهازيج الفرح بين جنبات سهير ، ونظرت سوسن إليها نظرة خاطفة فأحست كأنها قذى فى عينيها .

٥

كانت ليلة الشبكة فراحت سهير تتزين والغبطة تملأ نفسها ، كانت سعيدة، وزاد فى سعادتها تقوض تلك الخشية التى كانت مستولية عليه، والتى كانت ترهقها بفكرة عدم موافقة والديها على تزويجها قبل أن تتزوج سوسن .

وراحت تغدو وتروح فى الشقة ، تتطلع إلى المرآة وتنطلق إلى « البوفيه » المتواضع الذى أعد لفؤاد ووالديها ومن يقبلون مع فؤاد ، فقد قررت والدتها عدم دعوة أحد من أقاربهم حتى لا تزيد فى جرح سوسن .

لم تغادر سهير البيت ، بينما انطلقت سوسن إلى الحلاق تكوى شعرها وعادت تتألق ، وذهبت إلى البوفيه تعيد تنسيقه وهى مرحة ، وراقبتها أمها وهى قلقة ، أتصدق مظهرها المرح ؟ أحقا انشرح صدر سوسن ، ابتهج قلبها لسرور أختها ؟ كانت الأم تشتهى أن يكون ذلك حقا ، ولكن قلبها ما كان يصدق المظهر الخداع .

وذهبت الأم إلى حيث يرقد زوجها وقالت له وهى تهزه :

ــ قم يا رجل ، حان ميعاد حضور فؤاد .

فقام يتمطى وهى يبتسم . وارتسمت فى وجهه سعادة وقال :

ــ كنت أحلم أننى شاب وأننى أتزوج .

ومد يده إليها يحاول أن يجذبها إليه وهو يقول :

ــ حقا الشباب يعدى كالإنفلوانزا .

وقالت له وهى تبتعد عنه :

— اعقل يا رجل ، بعد سنة ستصبح جدا .

وفتحت الصوان وأخرجت له قميصا أبيض وبذلة كحلية ، ثم ذهبت تلقى النظر مرة أخيرة على تنسيق الشقة . كانت هناك باقة من الورد من عمر وحرمه ولا شيء غيرها يدل على أن الليلة لها أهمية خاصة .

ودق جرس الباب فهرعت سهير إليه ، ولكن أمها أشارت إليها أن تعود وأن تختفى فى غرفتها ، ففعلت سهير وذهبت الأم تفتح الباب .

وارتفع ترحيب الأم بالقادمين ، وسارت أمامهم حتى غرفة الاستقبال . كانت قد رأت فؤاد لما زارهم فى الأسبوع الفائت ، ولكنها لم تكن رأت الشاب والشابة اللذين جاءا معه ، وقال فؤاد وهو منشرح :

— حماتى .. صديقى عمر وحرمه أحلام هانم .

— أهلا .. تشرفنا .

وجلسوا ، ولكن سرعان ما نهضت الأم مستأذنة وذهبت إلى زوجها تستحثه على الإسراع ، كان قد ارتدى القميص والبنطلون وراح يحرك كرشه من أعلى إلى أسفل حركة موجية ، فقالت له تنهره فى صوت خافت :

— الناس جاءوا ، ولا أحد معهم .

فقال وهو يتناول الجاكتة :

— اذهبى أنت وأنا قادم خلفك .

وانطلقت الأم وذهبت إلى غرفة الاستقبال ، فألفت سوسن تحادث الضيوف وترحب بهم مشرقة الوجه كزهرة تلقت قطرات الندى ، فانشرحت وهمس فى أغوارها هامس سعيد : عقلت سوسن .

وجاء الأب متأنقا فى ثيابه ، فى عروة الجاكتة وردة حمراء ، وفى وجهه بسمة عريضة ، وقال :

ـــ مرحبا .. يا مرحبا .

وصافح فؤاد وعمر فى حرارة ، ومد يده إلى الشابة وهو يرمقها فى إعجاب .

فقال عمر :

ـــ زوجتى أحلام .

ـــ أهلا .. أهلا .

والتفت إلى عمر وقال :

ـــ المطعم الذى اخترت منه هذا الصنف ممتاز .

وفهمها عمر وفؤاد فضحكا ، وضحكت الأم وسوسن وأحلام دون أن يفهمن شيئا وإن حزرن أن ذلك إطراء لجمال أحلام .

وتركت الأم الغرفة ، وانسابت إلى غرفة ابنتها تدعوها للظهور . وسارت سهير ثابتة الخطو ، فقالت لها أمها هامسة :

ـــ تمهلى وأرخى عينيك .

وابتسمت سهير ولم تتمهل ولم تسبل عينيها ، وما إن وقفت على باب الغرفة حتى نهض الجميع ، ونهضت سوسن ، وراح عمر يفسح لها مكانا إلى جوار فؤاد .

وجلسوا جميعا ، وساد الصمت برهـة ، وأراد عمر أن يتحدث ، أن يقول أى شيء ليكسر ذلك السكوت . فقال وهو يبتسم :

ـــ أظن يا عمى أنك لم تر خطيبتك إلا ليلة الدخلة .

فقال جلال وهو يضحك :

ـــ كنت أراها فى الأوقات الخمسة ، فى الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وكنت مواظبا على تأدية الفروض فى أوقاتها ، لا أؤخر نظرة الظهر إلى العصر أبدا ، كنت أراها من سطح دارنا فقد كانت بنت الجيران .

وضحك الجميع ، إلا الأم فقد نظرت إليه نظرة عتاب .

وأشار عمر لفؤاد برأسه ، فمد يده فى جيبه وأخرج علبة من المخمل فى لون العقيق ، وأخرج منها سوارا راح يلفه حول معصم سهير ، وسوسن تنظر بعيون مفتوحة وقلب ينز أسى .

ومال فؤاد وطبع على خد سهير قبلة هادئة ، فقالت أحلام فى مرح :

ـــ يستاهلها ، دفع ثمنها .

وقال جلال :

ـــ حقا لكل شىء ثمنه حتى قبلة الزواج .

وقال عمر :

ـــ من يأخذ لا بد أن يعطى .

وقال جلال دون تحفظ :

ـــ ألذ الأخذ ما سلب .

وأشارت الأم برأسها لسوسن فنهضت . كان لهذه الحفلة المتواضعة مخرجان : الأم وعمر . وسارت سوسن وهى تتعمد أن تبدو رشيقة فى مشيتها ، وخانت عمر عينه فراحت تتلصص خلفها وترنو إلى ساقيها البديعتين وأردافها الممتلئة وخصرها النحيل .

وعادت سوسن تحمل صينية عليها أكواب الشراب الأحمر ، وقدمت إلى فؤاد الصينية وهى تنظر إلى عينيه نظرة طويلة ، ثم راحت تمر على الآخرين . وتمنت الأم فى تلك اللحظة أن تنطلق فى الشقة زغرودة .

وغادرت سوسن الغرفة تحمل الأكواب الفارغة وهى شاردة ، تستشعر أن الفكرة التى غرستها فى نفسها قد نبتت .

وقام الجميع إلى « البوفيه » : فؤاد وسهير يعيشان فى عالم سعيد من خلق أنفسهما ، وعمر وجلال يقهقهان ، والأم وأحلام تتجاذبان أطراف الحديث ، وسوسن لا يهتم بأمرها أحد ، فغضبت واستشعرت هوانا ، وتضاءلت نفسها وراحت توسوس لها بأفكار سوداء .

وأخرج عمر علبة سجائر وقدم منها سيجارة إلى جلال ، فقال جلال وهو يبتسم :

— والله لا أحب التدخين . ولكن هات . يدخن المرء رغم أنفه .

وقدم عمر سيجارة لفؤاد وهو يقول :

— من لقى أحبابه نسى أصحابه .

وضحك الجميع إلا سوسن . انقبض قلبها وران على وجهها ضباب ثقيل ، واندلعت الهواجس فى أعماقها كألسنة أبالسة الجحيم .

وأحس جلال ظمأ ، كان يريد أن يعب الكاسات فما انقضت ليلة دون أن يسكر ، وأراد أن ينفرد بالرجال فقال وهو يلتفت إلى عمر وفؤاد :

— أظن أنه من الواجب أن نترك لهن فرصة يتحدثن فيها فى حرية .

ووضع يده على ظهر عمر ، وسار الرجلان ولحق بهما فؤاد وهو يلتفت إلى سهير وفى عينيه ابتسامة .

ودخل الرجال غرفة الاستقبال ، وقبل أن يستقروا على مقاعدهم أخرج جلال زجاجة وسكى وثلاث كئوس ، وانطلق مسرعا وعاد يحمل إناء به ثلج .

وراح يصب الوسكى فى الكئوس ، فقال فؤاد :

ـــ شكرا لك ! إننى لا أشرب .

فضحك جلال ضحكة مشوبة بسخرية وقال :

ـــ إننى شربت يوم ظهرت نتيجة الابتدائية ، أقمت يومها أنا وبعض الصحاب حفلة ابتهاج بهذا النجاح .

وقال عمر لما وجده يصب الويسكى فى كأسه صبا :

ـــ كفى .. إنى أشربه مخففا بالماء .

فقال جلال وقد اتسعت عيناه :

ـــ لماذا ؟

ـــ أخشى من تليف الكبد .

ـــ أننى لا ألتفت لنصائح الأطباء ولا أعبأ بهم ، طلب منى الطبيب مرة أن أحلل دمى ولكنى لم أفعل ، لا لأننى كنت أخشى نتيجة التحليل ، ولكن لأننى كنت أعرفها سلفا ، ٥٠٪ كونياك .

وجلجلت الضحكات ـــ ووصلت ضحكاتهم إلى مسامع النسوة اللائى جلسن يتحدثن . قالت الأم :

ـــ يخيل إلىّ أن الرجال لا يحملون هموما .

فقالت أحلام :

ـــ الرجال أطفال ، من السهل إرضاؤهم ومن السهل قيادتهم .. بعض الحنان يجعلهم ألين من العجين .. إننى نجحت فى أن أحبب البيت إلى عمر حتى إنه أصبح لا يغادره ، وإذا طلبت منه أن يذهب معى إلى الطبيب أو إلى الخياطة يعتذر وينتظر فى البيت حتى أعود ، صرت أخرج أكثر منه .

وضحكت أحلام وقالت لسهير :

ـــ عليك أن تكبليه بخيوط من حرير ، وألا يبتعد عن عينيك ، ولكن إياك أن يلحظ أنك تراقبينه .. دعيه يعتقد أنك تثقين فيه ثقة عمياء .

وقالت الأم وهى تتنهد :

ــ حطيه على السطوح ، أن كان لك قسمة فيه مايروح .

وقالت سهير فى مرح :

ــ حطيتيه على السطوح ياماما حتى طار .

ــ هذه قسمة ، المكتوب على جبينى وجبينه وجبينها . اللهم يكفيكم شر المكتوب على الجبين .

وضحكت أحلام ضحكة ساخرة ، ثم أقبلت على سهير تحدثها وتزجى إليها النصائح ، ولم تلتفت إلى سوسن ولم تعرها انتباها ، فتحركت عقارب الغيرة فى صدر سوسن وانتشر فى رأسها ضباب من المقت ، ونبتت فى أعماقها بذور الكراهية لأحلام ، حتى راودتها فكرة أن تنقض عليها تخمشها بأظافرها وتمزق شعرها .

٦

غابت الشمس وأضيئت الأنوار وبدأ الليل يتنفس ، ودبت الحياة فى خفافيش الإنس فراحوا يتأهبون للانطلاق إلى اللذة ، ليغرقوا فيها هموم النهار وليفروا من أنفسهم القلقة المعذبة .

وارتدى جلال جاكتته وتحرك يغادر الشقة ، فقالت له زوجته :

ــ أين تذهب يارجل وقد قال فؤاد إنه قادم الليلة ؟

فقال وهو سائر فى طريقه :

ــ فؤاد ليس قادما ليرانى ، وإنه يتمنى ألا يجدنى هنا ولا أنت .

وفتح الباب وخرج وزوجته تنظر إليه ، ثم تهز رأسها فى يأس واستسلام وتتجه إلى المطبخ تعد ماتقدمه لفؤاد .

وانقضى بعض الوقت دون أن يسمع فى الشقة نأمة ، كانت سهير تتزين فى صمت ، وكانت سوسن تتفنن فى إبراز فتنتها وقد ارتدت ثوبا يكشف صدرها وجزءا من ظهرها .

ونظرت سوسن إلى نفسها فى المرآة مليا فاستشعرت زهوا ، كانت أنوثتها طاغية . ولم تحفل بوجود أختها فى الغرفة معها فرمزت لنفسها بعينيها .

ودق جرس الباب الخارجى دقا خافتا فهرعت سوسن إليه . كانت حريصة على ألا يسبقها إليه أحد . وفتحته متعمدة أن تسده بجسمها حتى تلتقى عيناها بعينى القادم أطول فترة .

ووقعت عينا فؤاد عليها فألفى ابتسامة ساحرة تتوج شفتيها ، وقرأ فى عينيها ترحيبا ومودة ، فقال فى صوت مضطرب وهو يرمقها دون أن تطرف له عين :

— مساء الخير .

فقالت فى دلال :

— مساء الخير . أهلا وسهلا .

ومدت يدها دون أن تتحرك ، فصافحها وأحس أنها تضغط على يده ضغطة خفيفة اضطرب لها قلبه .

واستدارت وسارت أمامه وقد تعمدت أن تسبقه ليملأ عينيه بفتنتها ، وتعمدت أن تتلفت كالأفعى حتى تبرز مفاتن صدرها وظهرها . ولما وصلت إلى باب غرفة الاستقبال تمهلت حتى بلغها ودخلا معا من الباب فاحتك ذراعه بذراعها العارية البضة ، ورمته بنظرة كلها إغراء وفتنة ، ثم مدت ذراعها من أمامه ومالت عليه لتدير زر الكهرباء ، وأشارت إلى مقعد وقالت :

— تفضل .

وانسابت فى رشاقة إلى الشباك تفتحه ، وراح يتبعها بنظره فى راحة . ولما تم لها ما أرادت عادت من أمامه وتعثرت فى قدمه ومالت نحوه ، فهب يسندها ليمنعها من السقوط فقبض على ذراعيها بحركة لا إرادية ، والتقت العيون لحظة ، وقال فى صوت خافت :

— آسف .

وقالت وهى تضحك :

— متشكرة ، كدت أسقط .

وغادرت الغرفة ، وجلس فؤاد شاردا وأخرج سيجارة وأشعلها وراح ينفث دخانها حلقات وهو ساهم .

وأقبلت سهير ومدت له يدها فتناولها بيديه وقال :

— مرحبا بغزالى .

وتلفت ليتأكد من أن أحدا ليس قادما ، ثم اختلس قبلة خاطفة وقال :

— صدق أبوك حين قال لنا : ألذ الأخذ ما سلب .

فقالت له سهير وهى تضحك :

— لى رجاء .

— ما هو ؟

— ألا تتخذ أبى قدوة ؟

فابتسم وقال :

— وأنا لى رجاء .

— ما هو ؟

— أن تتخذى أمك قدوة .

وضحكا معا . ودخلت الأم وصافحت فؤاد وقالت :

ـــ أشركانى فى ضحككما .

فقالت سهير فى مرح :

ـــ كان يتغزل فيك .

وقال فؤاد وهو يرنو إلى سهير رنوة خاصة :

ـــ وكانت تتغزل فى أبيها .

فقالت الأم وهى تتنهد :

ـــ انقضى زمننا . الخير والبركة فيكم .

وجاءت سوسن تحمل صينية عليها حلوى وصحاف صغيرة ، ووضعت الصينية على النضد وتناولت صحفة ووضعتها أمام فؤاد ، وخفت سهير لتضع بعض الحلوى أمام خطيبها لكن سوسن كانت أسرع منها .

وأخذوا فى تناول الحلوى ، وقالت الأم :

ـــ كنت سأرسل إليك فى العصر لتعطينا بيجاما من بيجاماتك . ولكنى خفت ألا تكون فى البيت .

فقال فؤاد وهو يشرب بعض الماء :

ـــ إننى لا أغادر البيت قبل السابعة مساء .

وصمتت الأم قليلا ثم قالت :

ـــ أردنا أن نفصل لك بيجاما ، ولكننا خشينا أن تأتى قصيرة أو ضيقة أو واسعة ـــ فقررنا أن نطلب منك بيجاما .

وظنت الأم أنه لم يفهم فقالت :

ـــ جرت العادة أن تهدى العروس إلى العريس بيجامة الدخلة ..

قالت سوسن وهى تضحك :

— وماذا أهديت لأبى ليلة الدخلة ؟

— جلباب أبيض ساوكبيس .

فقالت سوسن فى خبث :

— وماذا أيضا ؟

وضحكت ضحكة فضحت مايدور فى رأسها ، وفطن فؤاد وسهير إلى ما ترمى إليه فضحكا وتبادلا نظرات ذات معنى . وأحست الأم أنهم يضحكون منها دون أن تفطن إلى مايدورون حوله فقالت :

— الله يسامحكم .

ووضع فؤاد سيجارة فى فمه ، وأخرج الولاعة وقدحها وأشعل السيجارة ، وقبل أن يعيد الولاعة إلى جيبه خفت إليه سوسن وتناولت الولاعة منه وراحت تقلبها بين يديها ، ثم قالت :

— رائعة .

فقال فؤاد مجاملا :

— تفضلى .

فأخذتها سوسن وهى تقول :

— متشكرة .. هدية لطيفة .

وعادت وهى تقلب الولاعة إلى مقعدها .

ورمتها أمها بنظرة زاجرة ولكنها لم تأبه لنظرتها ، ولاح فى وجه الأم الغضب وتحركت ثورتها وهمت أن تعنف سوسن ولكنها كبحت جماح انفعالها . لم تشأ أن تجرحها بالزجر والتأنيب بعد أن أساء إليها قدرها .

ونظرت إليها سهير فى دهش وهى تتساءل فى نفسها ماذا تفعل سوسن بالولاعة ؟ وسرعان ما أنكرت ذلك التساؤل فهى تعرف سوسن جيدا . إنها تستولى على الشيء لا لأنها تريده ولا لأنها فى حاجة إليه بل لتحرم صاحبه منه . إنها تستشعر لذة فى حرمان الآخرين من أشيائهم .

وتحرك غيظها ولكنها لم تستطع أن تنفس عنه ، فراح صوت مدو يتردد فى جنباتها وهى ترقب سوسن : « عرسة .. عرسة .. عرسة » .

٧

كان فؤاد فى غرفة نومه يعيد تنسيق بعض كتب على نضد فى ركن الغرفة ، وكان فى الغرفة سرير ، وكومدينو فوقه راديو صغير وفوق الراديو صورة له ولسهير معا ، وصوان له مرآة كبيرة ، ومكتب صغير ، ومقعدان « فوتيل » . وكان يستخدم هذه الغرفة لنومه ومطالعته واستقبال زواره ، وما أندرهم .

ونظر فى ساعته فألفى أن ميعاد خروجه لم يأت بعد ، فمد يده وتناول كتابا ، وغاص فى أحد المقعدين وراح يقرأ .

وتناول سيجارة من العلبة الموضوعة على المكتب ، وأشعلها بعود ثقاب ، ونظر إلى العود لحظة قبل أن يلقى به ثم ابتسم ، فقد تذكر ولاعته ، وتذكر سوسن ، ورأى جلال بعين خياله وهو يقول ضاحكا : ألذ الأخذ ما سلب .

ومس أذنيه طرق خفيف على الباب فاتسعت عيناه دهشة ، فما كان ينتظر أن يزوره أحد فى هذه الساعة . ونهض وهو يصلح بيجامته ، وسار

وفتح الباب فتحة ضيقة ونظر فرأى سوسن تبتسم ، فقال فى ارتباك وهو يتنحى عن الطريق وينظر إلى ملابسه :

ـــ معذرة .

فقالت فى دلال :

ـــ آسفة إن كنت قد أزعجتك .

ـــ أبدا .. أبدا .. هذا شرف عظيم لى .. تفضلى .

وسارت إلى جواره .. وقادها وهو مضطرب إلى غرفة النوم فما كان عنده مكان آخر يستقبلها فيه ، وقالت وهى تنظر إليه :

ـــ كنت مارة من هنا فقلت لنفسى هذه فرصة لآخذ مقاس البيجاما .

فقال فى اضطراب :

ـــ أهلا وسهلا .

وأشار إلى المقعد القريب من المكتب وقال لها :

ـــ تفضلى .

وراح يتلفت فى الغرفة وهو يقول :

ـــ هذه غرفة رجل أعزب وحيد ، معذرة إذا كانت لا تليق باستقبالك .

فقالت وهى تدير عينيها فى المكان :

ـــ مدهشة .

ووقعت عيناها على صورته مع سهير فارتسمت على شفتيها بسمة هازئة ، ولم يفطن فؤاد إليها لأنه كان مشغولا بما يقدمه لها فما كان عنده فى الشقة إلا قليل من السكر وليمونة أو ليمونتان .

وانسل إلى المطبخ ، وأخرج صينية صغيرة ووضع فوقها كوبين من الزجاج وراح يذيب السكر فى إناء فى حركة سريعة ، ثم عصر الليمون وصب السائل فى الكوبين وعاد إلى حيث كانت سوسن وقد أحس بعض الراحة . وقال لها وهو يقدم الكوب :

— آسف ، لم أجد ثلجا .

وتناولت كوبا ، وتناول الكوب الآخر وجلس على المقعد القريب من السرير . وساد الصمت برهة وإن كانت فى العيون أحاديث . وقال فؤاد وهو يبتسم :

— لو جاء ثالث لاضطررت إلى استخدام الفضية .

ورمقته بعيون مفتوحة .. لم تفهم مقصده ، وقال شارحا :

— فضية العزاب علب الفواكه المحفوظة الفارغة . ليس عندى فى الشقة غير هذين الكوبين ، فإذا زاد الشاربون على اثنين اضطررت لاستخدام الفضية .

وضحكت سوسن وقالت :

— أحب هذه البساطة .

ولم يفهم أتحب البساطة التى يتحدث بها أم البساطة التى يعيشها . ووضع الكوب ، ورأت سوسن السلسلة التى حول عنقه والتى تنتهى بقرص حفر فيه اسمه ، فقامت إليه ومدت يدها وتناولت القرص ومالت تقرؤه .

وملأ عبيرها أنفه ، وخانته عينه فتسللت إلى الأخدود الساحر بين النهدين اللذين أصبحا نهبا لنظراته بعد أن مالت على صدره ، وأحس خدرا يسرى فى أوصاله ، وطلائع ضباب تتحرك فى رأسه لتحجب ذهنه وتعطل تفكيره ، ورغبة أنكرها وإن كانت تتحفز .

ورفعت وجهها وهى ممسكة بالحلقة فلامس شعرها وجهه ، ودنت شفتاها من شفتيه ، والتقت عيناها بعينيه . كان فيهما بريق غريب هز كيانه وجن له جنون قلبه .

وقالت فى رقة :

ـــ لماذا هذه القلادة ؟

ووسوس له شيطانه أن يضمها إليه ويهوى بشفتيه على شفتيها ، ولكنه راح يجاهد ليئد تلك الهمزات التى تشتهيها نفسه . وقال فى صوت نم عن حقيقة ما يكابده :

ـــ ليعرفونى إذا مت فى غارة جوية أو قتلت فى حادثة .

وضحكت سوسن ضحكة ناعمة وقالت :

ـــ لا يهمنى أيحرقون جسدى بعد أن أموت أو يلقونه للكلاب .

وعادت إلى مقعدها وفتحت حقيبتها وراحت تبحث فيها عن شىء ، وفؤاد يرنو إليها مأخوذا مسحورا بالمشاعر الرقيقة التى تدغدغ حواسه وتهدهد أمانيه ، ولم يتكلم فما كان يحب أن تفر النشوة التى تمرح فى الصمت اللذيذ .

وأخرجت من حقيبتها مترا من القماش وحركته فى الهواء كأنما تحرك سوطا ، وقالت وهى تضحك :

ـــ قم لأقيسك .

ونهض وانتصب بقامته الطويلة وصدره العريض . وقامت سوسن وضربت الهواء بالمتر كأنما تضرب به بسوط ، وتمنت فى تلك اللحظة لو أن ذلك المتر استحال سوطا لتهوى به عليه حتى ينبثق الدم من جسمه القوى المتين . ولم تجفل من الفكرة بل استشعرت نشوة وتدفقت دماؤها فى شرايينها .



فضم الفتنة الماثلة أمامه إلى صدره
بذراعيه القويتين وراح يلثمها فى سعار

ودنت منه وأدارته حتى أصبح ظهره لها ، ووضعت حرف المتر تحت ياقة البيجاما وهبطت به جتى نهاية الجاكتة وقرأت القياس ، ثم ذهبت إلى المكتب ووضعت ورقة فوقه لتسجل فيها الأطوال .

ومالت تكتب وهى تقول :

ـــ ما شاء الله .. طول جاكتتك أطول من جاكتة بابا مرة ونصف .

وابتسم ولم ينبس بكلمة ، وراح يرنو إلى مفاتنها وهى مائلة على المكتب تكتب ، وعيناه تجولان فى نهم فى ساقيها وأردافها . كانت المشاعر الثائرة على وشك أن تتمرد .

وعادت إليه وطلبت منه أن يثنى ذراعه ففعل ، ووضعت المتر عند الكتف ومدته على الذراع حتى الرسغ ، ولمس مرفقه صدرها فأبعده عنها وقد سرى فيه تيار كهربائى وعربدت أحاسيسه ، ولكنها عادت تضغط مرفقه بقمة صدرها فطار صوابه وخفق قلبه فى شدة وغامت عيناه بضباب الشهوة العارمة .

وتيقنت أن حصون مقاومته انهارت ، وأحست الرجفة التى سرت فى كيانه ، فأدارته حتى صارا وجها لوجه ، ولفت المتر حول وسطه ثم راحت تجذبه به فى خفة حتى التصق صدره وصدرها ، ورفعت إليه عينين فيهما نداء صارخ وزمت شفتيها تدعوه للقبل .

وطاش لبه وغاب عن وعيه ، فضم الفتنة الماثلة أمامه إلى صدره بذراعيه القويتين وراح يلثمها فى سعار .

وانعدم الوجود إلا وجودهما ، وتركزت الدنيا كلها فيهما . وبلغت النار المشتعلة فى جسديهما غايتها فراحا يتعاونان على إخمادها .

ومر الوقت سريعا كأنما كان لحظة . وغادر فؤاد السرير مبهور النفس زائغ البصر .. وتحرك ضميره بعد أن غفا ، وأخذ يحاسبه ففزع وأحس أن نارا تلسع روحه وتلهب كيانه .

وتكورت سوسن فى السرير وقد نفش شعرها وتهدلت ثيابها .. وتحامت أن تنظر إلى فؤاد وقالت فى صوت ملتاع :

ـــ ماذا فعلت ؟ يالعارى ؟!

ثم أجهشت بالبكاء .

وزاد عذاب فؤاد ، وتجسمت له بشاعة ماارتكبا وتمثلت له أفواه الناس تفتح وتقفل تروى فضيحتهما فدارت الأرض به وكاد أن ينهار .

وراحت سوسن تغادر السرير وتقول مولولة :

ـــ ليس لى عيش ، لم تعد لى حياة .

وانهصر قلب فؤاد ، وراح يتلقى ضربات ضميره القاسية وهو يئن ويصرف أنيابه فى غيظ ، وتمنى لو يفقد الوعى ، لو يغيب عن الوجود ليرتاح من الضنى الذى يكابده والمرارة التى تسرى فيه مسرى الدم .

وأخفت سوسن وجهها بيديها وانخرطت ثانية فى البكاء . فقال فؤاد دون أن ينظر إليها :

ـــ أخطأنا وعلينا أن نتحمل وزر خطئنا .

فقالت فى فزع :

ـــ كيف ؟

وتحفزت ، حسبته سيتنصل مما فعل ، سيلقى عليها اللوم وحدها . تأهبت لتقول له إنه هو الذى استغل ضعفها وغرر بها ولكنه قال فى يأس المقاتل الذى ألقى جميع أسلحته مستسلما :

ــ علينا أن نتزوج .. ليس أمامنا إلا أن نتزوج .

واكتسحتها مشاعر مرحة معربدة ، ولو طاوعت نفسها لانطلقت إليه تضمه إلى صدرها وتمطره قبلات ، ولكنها تقدمت إلى المرآة فى بطء خافضة الرأس ، وراحت تعيد زينتها .

وظل فؤاد يغدو ويروح كوحش وقع فى شرك ، وتزاحمت الأفكار فى رأسه ، وأصبح صدره مسرحا لعواطف سود تنفث سمومها ، وهو كريشة فى مهب الرياح لا تعرف لها قرار ، لقد وعدها بالزواج ولكن ذلك القرار لم يمد بعد جذوره فى نفسه ليقوى على الصمود فى وجه الأعاصير التى كانت تهب من أغوار ذاته المتمردة على هذا الهوان .

واستدارت سوسن وهمت أن تقول له إنها فقدت عنده أغلى ما تملك ، وأنها تضع مستقبلها كله بين يديه ليعيد عليها وعده ، ولكنها وجدت أن خروجها دون أن تنبس بكلمة أوقع فى نفسه ، فانسلت صامتة مطأطئة الرأس تجر عارها .

وأغلقت الباب خلفها ، وسرعان ما رفعت رأسها ورفت على شفتيها بسمة خبيثة ، وسارت مغتبطة بفوزها . وفتحت حقيبتها وأخرجت منها ولاعته وأخذت تعبث بها فى مرح .

وشردت تفكر ، وتدسس فى نفسها صوت أبيها يقول : ألذ الأخذ ما سلب . فأشرق وجهها وانشرح صدرها ودار رأسها بخمر الظفر . وبلغت الدار ، وفتحت لها أمها فحيتها تحية المساء وهى هادئة لم تضطرب ولم ترتجف ولم تتقاصر نفسها . ودخلت غرفتها فألفت سهير تشتغل مفرش سرير وهى شاردة تحلم ببيتها الجديد .

ورنت إلى المفرش رنوة طويلة . ورفعت سهير رأسها تنظر إليها فوجدت بسمة هادئة تطوف بشفتيها . وقرأت فى عينيها شيئا غريبا لم تدر ما هو وإن انقبض له قلبها .

وظلت الإبرة فى يد سهير فترة دون أن تتحرك ، وتابعت سوسن بعينيها فرأتها تقف أمام المرآة تتفرس فى محاسنها ، ثم ترمز لنفسها بعينيها ، فهزت سهير كتفها فى استخفاف ، وراحت تستأنف أحلامها وهى تزخرف مفرش سرير الزوجية .

٨

كانت ليلة لم ينم فيها فؤاد ولم يعرف ذهنه الهدوء لحظة ، ولم تبخل أعماقه بالمشاعر التى كانت ترهقه وتشعل نار حسرته ضراما ، وراح يتقلب فى سريره كأنما يتقلب على جمر .

شغلته اللحظات القصار التى انقاد فيها للرغبة الجامحة التى أعمت بصيرته ، وخدرت نواهيه ، وعطلت تفكيره ، وأسدلت أسجافا بينه وبين ضميره الذى لا يستيقظ إلا بعد فوات الأوان .

وراح يعجب كيف استطاعت سوسن بعد أن انفردت به مرة واحدة أن تدير رأسه ، وأن تسلبه إرادته ، وأن تجعله يسير معها حتى نهاية الشوط وهو مسحور ، بينما انفرد بسهير كثيرا وضمها إلى صدره وهمس به شيطانه أن يروى ظمأه ما دام الرى مبذولا . ولكنه كان قادرا على أن يكبح جماح شهواته وأن يئد همزات الشياطين .

وراح يقنع نفسه أن سوسن هاجمته دون أن تكون حصون مقاومته متأهبة لتلقى هذا الهجوم ، أخذته على غرة ، أججت فيه النار قبل أن يتحرز ، كبلت عقله وهو هاجع ، ونجحت فى أن تثير الوحش الكامن فى نفسه الذى كان بلا رقيب . ولم يدر فى خلده أن سهير لو تقدمت الخطوة التى تفصل بينه وبين السقوط كما فعلت سوسن لتردى فى الهاوية ، ولتهتك ذلك الوهم الكاذب الذى أغراه بأنه على كبح شهواته قدير .

لم يصمد لأول تجربة صادفته ؟ كانت أمامه أنثى تريد ولا تخشى عاقبة ما تريد ، وكان هو بكل جوارحه ومغرياته ونواهيه يريد . وتلاقت إرادتان وتم لهما ما يريدان دون قهر أو تمويه . فإذا كانت أغرته فقد استجاب للإغراء ، وإذا كانت يسرت له الهجوم فقد هجم غير هياب ، هجم وفى أعماقه تتردد أهازيج النصر . لحظات تقضت ولكنها قوضت كل حلم ، وبددت جبال الأمانى والآمال التى كانت تتراكم كلما التقى هو وسهير ، وغيرت المستقبل المرسوم إلى مستقبل مقسوم ، وامتدت آثارها إلى جوف الغيب الرهيب .

ومرر يديه على وجهه ورأسه فى ضيق ، وضغط فوديه ضغطا شديدا ثم تقلب وفكر : أكان مجىء سوسن إلى داره مصادفة حقا ؟ قالت إنها كانت مارة ووجدت الفرصة سانحة لتأخذ مقاس البيجاما ، فإذا كان ذلك صحيحا فكيف كان فى حقيبتها متر جديد ؟ إنها دبرت المقابلة ، فكرت فيها ورسمت كل خطوطها ، إنها ما جاءت إلا وهى مصممة على ألا تخرج من عندى إلا وهى ..

وتقلب ثانية وهو حانق وقال لنفسه فى زجر : سواء أجاءت مصادفة أم جاءت بعد تدبير فقد قضى الأمر وأصبح على أن أتحمل آثاره .

ورن فى أغواره صوت يحرضه على الفرار والنكوص ، وإذا به يرد على ذلك الصوت فى مرارة : أفر ؟ وأين الفرار ؟ وممن ؟ أصبح زواجى من سهير مستحيلا ، وإن سوسن تقف بيني وبينها كالغول . وإذا هربت من سوسن فكيف أهرب من نفسى ؟ سأعيش خائفا أتلفت ، وسأعذب نفسى بنفسى ، وسأقضى ما بقى من عمرى فى جحيم . سأتزوج من سوسن ، لا مفر من ذلك ، وهذا هو قرارى لن أحيد عنه ولن يلوى عنقى عنه ما سأقابله من صعاب وما قد يقف فى طريقى من عقبات وما قد يهب علىّ من أعاصير .

وتقلب ووقعت عيناه فى الظلام على صورته مع سهير الموضوعة فوق الراديو ، فخفق قلبه فى أسى وازدادت مرارته ، ونهض من سريره وأخذ الصورة ورنا إليها طويلا ، ثم اتجه إلى الصوان وفتحه ووضعها فيه .

واعدها غدا على السينما ، وما وقع فى خلده أن قدره يخبئ فى لحظة طيش أمله الغالى وحبه العظيم .

وارتمى فى السرير وهو يكاد يتمزق من الغيظ ، وملأت سهير صفحة ذهنه فلم يجرؤ أن يتطلع إليها حتى فى خياله . ازور بوجهه عنها قليلا كيلا ترى فى وجهه الدنس الذى تردى فيه . خانها خيانة لا تغتفر ، ومع من ؟ وأن أنة كاد ينفطر لها فؤاده .

ومرر يده على وجهه فى انفعال وانبهرت أنفاسه وتفصد من جبينه العرق ، وحاول أن يفر من شبح سهير دون جدوى ، كانت تحتل كل نبضة من نبضات فكره المحموم .

واشتد وجيب قلبه وهفت روحه إليها ، وتحركت أحاسيس الحب ولكن كان لها طعم آخر غير ذلك الطعم الذى كان يشتهيه ، كانت مزودة

بخناجر مسمومة تمزق روحه وتقيح نفسه ، فينزف ما بقى من راحة الضمير .

إنها فى سويداء قلبه ، إن كل خلجة فيه ترتجف بحبها ، ولكن كتب عليه أن يئد ذلك الحب ، أن يدفنه فى أعمق أعماقه ، أن يتلظى بناره فى صمت ، أن يتحول كيانه رمادا دون أن يبوح .

وعاد مطرقا يجر رجليه وفى قلبه حزن ثقيل ، فقد قبر بيديه له أخطر مفاجأة فى حياته ، كان يتخيلها مقابلة غامرة بالسعادة زاخرة بالمحبة مفعمة بأشهى الأحاسيس ، فإذا بحجب الغيب تتهتك عن مأساة تقوض كل أمل وتنسف قصور الخيال .

ماذا يقول لسهير غدا ؟ إنه لا يدرى .. إنه فى حيرة ، كل ما يدريه أن غدا ينبغى أن يكون آخر ما بينه وبينها ، أن يكون مصرع حبهما ، أن يكون اللقاء الأخير بين حبيب وحبيبته .

لو كان غدا وداعا ما بعده لقاء لتصبر ولأمل فى أن يجر النسيان أذياله على الحب الذى صرع ، ولكنه سيلقى حبه دواما ، وسيزيد الحرمان ناره اشتعالا ، وسيعيش فى السعير .

ياللسخرية ! عرف سهير لتقوده إلى سوسن . كانت ألعوبة فى يد القدر سخرها لتدفع من حسبته رجلها إلى أحضان من كتب عليه أن يعيش معها .

وتقلب فى فراشه وهو يتلوى كالأفعى وقد بلغت ثورة نفسه غايتها ، وإن كان يحاول أن يوحى إلى روحه الاستسلام لقدره . سيتزوج من سوسن مضحيا بحبه لأنه ضعف فى لحظة فحق عليه أن يدفع الثمن . وكان يصر على أن تظل زوجته طاهرة الذيل حتى ليلة الزفاف ، ولكن سوسن ..

وراح يضرب جبهته بقبضة يده ليطرد الأشباح التى ترهقه من أمره عسرا ، ويضع أصابعه فى أذانه ليصمها عن ضحكات السخرية التى ترن فى أغواره . ثم أن أنة كاد يلفظ فيها أحشاءه .

إنه تعيس .

٩

سار فؤاد فى الظلام دون أن يضئ النور ولم يفطن لذلك ، كانت نفسه أشد قتاما من الليل السرمد الذى يلفه ، فقد كان منطلقا لينطق حكم الإعدام على حبه .

وخرج إلى الطريق شارد اللب منقبض الصدر متوتر الأعصاب تتفجر فى أعماقه براكين الحزن ويتسرب إلى روحه يأس مرير . كان خائر القوى متهالكا مسلوب الإرادة مستسلما للوهم الكبير الذى استولى عليه ، وإن كان مقتنعا فى أغواره أنه قوى يضحى بكل شىء حتى حبه فى سبيل تحمل عواقب وزره الذى شارك فيه .

وأشرف على محطة المترو ، ولمح سهير تنتظره فاشتد خفقان قلبه وجثم حمل ثقيل على صدره ، وجف حلقه وزاغ بصره ، وتمهل فى سيره حتى يفرخ روعه ويلتقط أنفاسه المبهورة .

ودنا منها وهو مضطرب تعبث به أنواء عواطفه ، واستشعر أحشاءه تسقط وروحه تكاد تفر من فيه ، وتجسمت له قسوة ما هو مقدم عليه ولكنه لم يتزعزع أو يلين .

ولمحته فتهللت أساريرها وتوجت شفتيها تلك البسمة الساحرة التى تنفذ إلى القلوب ، وحركت رأسها فراح شعرها الأسود المتهدل ينوس فى دلال ، ولمعت عيناها الدعجاوان ببريق أخاذ يوقظ مشاعر السعادة الهاجعة .

وأحس روعتها على الرغم مما كان فيه فربا أساه . لقد ضحى بدرة غالية على مذبح الشهوة العابرة . . إنها لحظة ولكنها كاللعنة تقتفى أثر الملعون أينما كان .

وحياها ووقف إلى جوارها يفكر ، فإذا بها تمد يدها وتقبض على يده وتضغطها فى حنان فيرتجف من قمة رأسه إلى أخمص قدمه كأنما سرى فيه تيار كهربى ، وجذبها من يدها واجتازا معا شريط المترو واتجها إلى المحطة المقابلة .

وعجبت سهير من تصرفه ، إنهما منطلقان إلى السينما . إلى القاهرة ، فما الذى حدا به أن يتوجه إلى المترو المتجه إلى الصحراء ؟ لعله حن إلى ذلك المكان الهادئ الذى كانا ينسلان إليه فى غفلة من الأعين ليتقابلا هناك قبل أن تعلن خطبتهما . إنه لشىء جميل أن تهفو النفوس إلى مسارح الذكريات .

وجاء المترو وركباه وجلسا جنبا إلى جنب ، وكانت سهير إلى جوار الشباك لأول مرة . فما عادت تخشى أن يراها أحد معه ، إنها هادئة تنعم بلذة الاطمئنان .

والتصقت به وسرى فى بدنها خدر مشتهى ، وظلت صامتة تسعد بالمشاعر الساحرة التى تدغدغ حواسها ، بينا كان يتلظى بالنار التى ترعى فيه . وهم أكثر من مرة بأن يتكلم ولكن ماتت الكلمات على شفتيه .

ووصل المترو إلى نهايته ، وأفاقت سهير من أحلامها وهي دهشة من وصوله السريع بينا خيل لفؤاد أنه سار دهرا طويلا ثقيلا .

وانسابا فى الطريق الهادئ الذى لا تكاد مصابيحه تهتك الظلام المتراكم على جنبيه الواصل إلى المقهى القابع على حافة الصحراء ، والتصقت به ومدت يدها تضغط على يده وقد تأهبت ليضمها إلى صدره ويقطفا أشهى ثمرات الحب البرىء ، ولكنها أحست رعدة تسرى فى يده فأنكرته وتطلعت إلى وجهه ، فانقبض قلبها وقالت فى لهفة :

— ماذا بك الليلة ؟

فزفز زفرة شديدة لينفث دخان مشاعره الملتهبة التى تلتهم صدره ، وقال فى صوت قادم من أعماق بعيدة مضطربة :

— سهير . لن نتزوج .

ورفع الحمل الثقيل عن صدره لينقض على سهير انقضاض الصاعقة ، ودارت الأرض بها وقالت فى ذهول :

— ماذا تقول ؟

فقال فى صوت حزين :

— لن نستطيع أن نتزوج .

فقالت فى انفعال :

— أجننت ؟ أبعد أن تعلن خطبتنا على الملأ تعود لتنكص على أعقابك ؟ إذا كنت هازلا لماذا أصررت على أن تتم الخطبة ؟ إذا كنت تريد أن تتسرى ..

فقال مقاطعا وهو يحس نياط قلبه تتمزق :

— بالله كفى ، يكفينى العذاب الذى أقاسيه .

ـــ أشفقت على نفسك من أن تخدشك كلمات ، وأنا .. ألم تفكر فى الهوان الذى ستمرغنى فيه ، ألم تفكر فى قلبى الذى طعنته وألقيته تحت الأقدام ، لقد ضعت .. ضعت إلى الأبد .

فقال فى تخاذل :

ـــ سهير ..

فقالت فى انفعال :

ـــ كفى لا أريد أن أسمع شيئا ، أنا التى أستحق ما أنا فيه الآن لأننى صدقتك .. وثقت بك .. وسحرنى كلامك المعسول ..

فقال فى حرارة :

ـــ أقسم بالله أننى أحببتك من كل قلبى ، وأننى لا زلت أحبك .

فقالت وقد اتسعت عيناها :

ـــ إذا كنت تحبنى ولا تزال تحبنى فلماذا تمرغنى فى الوحل ؟ لماذا تجهز علىّ بيدك ؟

فقال وهو مطرق :

ـــ سوسن ..

وأحس قلبها الفاجعة فقالت فى فزع :

ـــ وما دخل سوسن ؟

فقال وهو يضطرب :

ـــ سأتزوجها .

فقالت وقد زاد فزعها :

ـــ لماذا ؟..

فقال وهو يشيح بوجهه عنها :

— بالله كفى ، ارحمينى ، لا تزيدى نارى اشتعالا .

فأحست مقتا بغيضا يمور فى صدرها ، وأفاعى البغضاء تنهش جوفها ، ومرارة فى طعم الصبر تتدفق إلى فمها . فقالت وصدرها يعلو وينخفض وعيناها جاحظتان :

— سلبتك منى كما سلبت كل أشيائى . حدثنى قلبى بذلك وقد وقع ما خشيته . لو تقدم إليها كل رجال الأرض لتختار منهم زوجا ما اختارت أحدا غيرك لا لأنها أحبتك بل لتحرمنى منك ، سوسن .. هنيئا لك بها .. هنيئا لك بالأخت التى سلبت من أختها خطيبها .

وتركته وانطلقت منفعلة والدموع تملأ مآقيها ، وأسرع خلفها يناديها :

— سهير ..

ولحق بها وأمسكها من يدها فجذبت يدها منه ، وقالت وهى تبكى :

— دعنى .. انتهى كل ما كان بيننا .

وسارت محمومة ، وأحست خاتم الخطبة فى أصبعها فخلعته وتمهلت حتى لحق بها ومدت به يدها ووضعته فى كفه ، ثم انطلقت لا تلوى على شىء ودموعها تغسل وجهها .

كان جوفها أتونا من النار ، وكانت الأفكار السود تحتشد فى رأسها ، وكانت مشاعر الحزن تكتم أنفاسها ، وكان صفير الرياح فى أذنيها أشبه بعويل ، وكانت نفسها متقيحة تقطر سما .

ركبت المترو وهى ذاهلة عن كل ما حولها إلا عن مرارة هزيمتها والحقد الذى يربو ويتشعب حتى يمتد إلى كيانها جميعه ، وأسنت عواطفها حتى تمنت أن تقتل سوسن .

وبلغت الدار وهى ثائرة لا تكاد ترى طريقها ، وفتحت أمها لها الباب فاندفعت كالعاصفة تتلفت والشرر يتطاير من عينيها ، ولمحت سوسن مقبلة فأسرعت إليها ولطمتها لطمة قوية أودعتها كل غضبها وراحت تصرخ فيها :

— يا مجرمة .. يا سافلة .. يا عرسة .

وأسرعت الأم مرعوبة إلى سهير وهى تقول فى دهش :

— ماذا جرى ؟

وأحست سوسن راحة وعربدت فى جوفها نشوة عارمة ، كانت اللطمة أسعد نبأ تلقته ، صدق فؤاد وعده وسيتزوجها ، وراحت تنظر إلى سهير وهى منتشية بخمر نصرها ، وقالت سهير فى انفعال :

— المجرمة .. السافلة .. سرقت فؤاد ، سلبته منى فى خسة دون خجل . ليتنى لم أكن أختها .. ليتها لم تكن أختى ، ليتنى لم أولد ..

وغلبتها دموعها وانهارت قواها فارتمت فى صدر أمها تنشج وتنتحب حتى لتكاد كبدها تنفطر من البكاء ، وسوسن هادئة تنعم بأحاسيسها .

ودارت الأرض بالأم ودق قلبها دقا عنيفا وسرت فى بدنها قشعريرة ، وقالت فى صوت مرتجف :

— هذا غير معقول . من قال لك هذا ؟

فقالت سهير وهى تبكى :

— هو .. وقد أعدت إليه خاتمه .

ولم تجد الأم ما تقوله فضمت سهير إلى صدرها فى حنان ، وراحت تنظر إلى سوسن نظرات حائرة وقد زاد فى حيرتها البشر المتألق فى وجهها .

وسارت الأم وهي تلف ذراعها حول سهير وهي نهب لعواطف متباينة . كان ما يجرى أمامها مفاجئا متتابعا سريعا قاسيا حتى أنها عجزت عن أن تلاحقه بفكر سليم ، ودلفت إلى غرفة بنتيها ووضعت سهير فى سريرها وأخذت تعاونها على خلع ثيابها ، وهى صامتة ينز قلبها أسى وحزنا .

وأضجعتها فى فراشها ومررت يدها على شعرها فى حنان ، ثم مالت وطبعت على خدها قبلة فامتزجت دموعها بدموع ابنتها الوالهة ، ثم انسلت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها .

وذهبت إلى حيث جلست سوسن وجعلت ترنو إليها فى ريبة ، ثم قالت فى صوت خافت مرتعش :

— كيف حدث هذا ؟

فقالت سوسن فى هدوء دون أن تطرف لها عين :

— كما يحدث دائما . اكتشف فجأة أنه لا يحب سهير وأنه يحبنى أنا .

فقالت الأم فى لوعة :

— وسهير أختك ألم تفكرى فيها ؟ ألم يقع فى خلدك أنك تحطمين حياتها .. وتجهزين عليها ؟

فتململت سوسن ووضعت ساقا على أخرى وقالت فى ضيق :

— قلت لك إنه أحبنى ، هل كنت أستطيع أن أمنعه من أن يحبنى ؟ إن أمر القلوب ليس فى يدى .

وبلغ صوتها مسامع سهير فهبت من فراشها ثائرة ، وفتحت الباب وقالت فى انفعال :

— كذابة .. كذابة .. إنه لا يحبك .

فقالت سوسن لتزيد فى عذابها :

ـــ إذا كان لا يحبنى فلماذا هجرك ليتزوجنى ؟!

وهجمت سهير عليها تنشب أظافرها فى عنقها وهى تقول :

ـــ لأنك أوقعته فى حبائلك ، شيطانة .. شيطانة .

واشتبكت الأختان يتشاجرن والسبب يتدفق فى حنق من فم سهير ، والأم تحاول أن تحجز بينهما وهى تولول :

ـــ يا مصيبتى .. يا مصيبتى ، ماذا سيقول الناس عنا ؟ ماذا سيقول الناس غدا ؟

ونجحت الأم فى أن تبعد سهير عن سوسن ، وانسلت سوسن فى هدوء لتغيب فى إحدى الغرف ، ولمحت سهير زهرية على النضد فاختطفتها ورفعت يدها لتلقى بها فى رأس سوسن ، وأحست الأم الخطر فدفعت يد سهير وهى تقذف قذيفتها فابتعدت الزهرية عن سوسن وتحطمت أمامها ، فأسرعت تختبئ وهى تحمى رأسها بيدها .

ووقفت سهير مبهورة النفس تصرف أنيابها فى غيظ وترمى الباب الذى أغلقته سوسن خلفها بنظرات نارية ، ثم دارت على عقبيها وذهبت إلى غرفتها لتنفرد بآلامها .

وبقيت الأم وحدها فجلست تجتر مخاوفها وأحزانها ، ومرت ساعات من الليل حتى كاد ينتصف ، ونامت سهير تتفزع بينما نامت سوسن وعلى شفتيها بسمة رضا .

وجاء جلال أخيرا فهرعت إليه الأم وقالت :

ـــ فؤاد فسخ خطبة سهير .

فانتبه جلال وقال :

ـــ ماذا تقولين ؟

واستمرت فى حديثها :

ـــ ويريد أن يتزوج سوسن .

فهدأت نفسه وقال :

ـــ مبارك .

فقالت فى فزع :

ـــ مبارك ؟

ـــ ألم تكن هذه أمنيتك ؟ ألم تكن رغبتك ؟

فقالت الأم وهى مرعوبة :

ـــ وسهير ؟ إنها تحبه .. إنها ..

فقال مقاطعا :

ـــ هذا عبث أطفال .. هذا ليس حبا .. ماذا تعرف عنه ؟ شكله ؟ قوامه ؟ الحب الحقيقى لا يكون إلا بعد الزواج .

فقالت فى لوعة :

ـــ حبيبتى يا سهير . كبدى عليك .

فقال جلال فى دهش :

ـــ أمرك عجيب ! ألم تكن هذه أمنيتك ؟ ألم تتوجهى إلى القبلة وتطلبى من الله أن يكون فؤاد من نصيب سوسن ؟ كانت أبواب السماء مفتوحة .

أطرقت الأم وخيل إليها أنها هى سبب كل ما حدث ، فتمزق قلبها وقالت نادمة :

ـــ ليت لسانى قطع ساعتها .

وأحس جلال أن الخمر طارت من رأسه ، فانسل إلى حيث يضع زجاجته فأخرجها وراح يصب منها فى كأس ، ولحقت به الأم ورأت ما يفعل فقالت فى حنق :

ــ تريد أن تهرب ، لا تحب أن تفكر فى بناتك .

فقال وهو يرفع كأسه :

ــ كلما فكرت فى بناتك أحسست الشيخوخة تدب فى أوصالى ، وأن قدمى تسير بى إلى قبرى . إننى لا أريد أن أموت أبدا ، أريد أن أظل شابا وأن أعيش فى شبابى الدائم .

ورفع الكأس إلى شفتيه وقال :

ــ هذه سر شبابى .. هذه هى حياتى .

وألقى بالكأس فى جوفه ليتخفف من أعبائه ويعود إلى طفولته .

١٠

ذهب فؤاد إلى المقهى ليقابل جلال وهو قلق ، ولمحه جالسا يلعب الطاولة فوقف هنيهة يجمع نفسه التى ذهبت شعاعا ، ويسترد أنفاسه المبهورة ، ويبعد الرهبة التى تدسست إلى جوفه .

وتقدم فى بطء وهو يترقب ، كان يفكر فيما يقوله ويزن كل كلمة سينطق بها كيلا يخدش الرجل ولئلا يزيد ثورته عليه . إنه سيثور حتما لسهير ، وقد وطن فؤاد نفسه على أن يتحمل غضبه ، وأن يخفض له جناح الذل حتى تمر العاصفة .

وأصبح على قيد خطوة منه فاشتد وجيب قلبه ، وجف حلقه واضطرب رهبة ، وزاغت نظراته وتمنى لو يفر .. ولكنه تقدم وقال :

ــ السلام عليكم .

كان لصوته رنة غريبة فى أذنيه حتى كاد ينكره . والتفت جلال فلما رآه لم يعبس بل تطلق وجهه وقال وهو يقف لمصافحته :

ــ أهلا فؤاد .

وسحب كرسيا إلى جواره وقال وهو يشير لفؤاد :

ــ تفضل .

وقعد فؤاد وراح جلال يستأنف لعبه ، واشتدت رهبة فؤاد ، فترحيب الرجل به وابتسامته له وإقباله عليه توحى بأن الرجل لا يدرى ما جرى . واستشعر فؤاد وطأة العبء الذى كتب عليه فى لحظة من لحظات الزمن الحاسمة أن يحمله ، فأحس كأن خنجرا يشق صدره ، وراح ينفث ذوب نفسه فى صمت .

ومر الوقت وئيدا وئيدا وفؤاد ككرة تتقاذفه أوهامه ومشاعره ومخاوفه ، وراح يتردى فى قرار سحيق من العذاب فراحت نفسه تئن ، تمنى لو أن هذه الجلسة تنتهى على أية حال .

وأغلق جلال الطاولة واستأذن من زميله وانتحى بفؤاد جانبا، وأحس الرجل ما يكابده الشاب فسخر منه فى قرارة نفسه ، ولم يشأ أن يطيل عذابه ، وأراد أن يعاونه على تبديد ذلك القلق الذى يدثره فقال فى هدوء :

ــ بلغنى ما عزمت عليه .

فقال فؤاد فى صوت متهدج وقد أطرق برأسه :

ـــ يحز فى نفسى يا عمى أن أسىء لسهير .. ولكن هذا الأمر خرج من يدى .. لم يعد لى عليه سلطان .

وصمت ، ولم يشأ جلال أن ينتظر حتى يخبره بما جاء به فقال :

ـــ وسوسن أخت سهير . قلت لك ذلك عندما جئت إلىّ أول مرة . ليتك استمعت إلىّ .

فقال فؤاد وهو يزفر :

ـــ يا ليت :

وقال جلال وفى عينيه نظرة استخفاف :

ـــ إننى لا أندم على شىء فات ، كل شىء له أوان .

وصمت قليلا ثم قال :

ـــ متى تريد أن تعلن خطبتك ؟

فقال الشاب فى ارتباك :

ـــ فى أى وقت .. غدا أو بعد غد .

ـــ وما الفرق بين الغد والآن ؟

فقال فؤاذ فى دهش :

ـــ الآن ؟

ـــ نعم الآن . أليس الخاتم معك ؟

فقال فؤاذ وقلبه ينفطر :

ـــ نعم .

ـــ هيا ضعه فى إصبع سوسن .. أن يكون فى إصبعها خير من أن يكون فى جيبك .

وضحك جلال وترجرجت كرشه ، وقام وفؤاد خلفه .

واندسا فى تاكسى وقال جلال :

— أظن ليس هناك ما يدعو لتأخير الدخلة .

— أبدا .

— ما رأيك فى أن تكون بعد أسبوعين ؟

— كما ترى .

— هذا أفضل .

وصمتا وراح فؤاد يفكر فى الرجل الجالس إلى جواره وهو يعجب ، إنه يتحدث عن فسخ خطبة ابنته ليخطب الثانية فى بساطة دون أن ينفعل، ويتحمس إذا ما لعب عشرة « طاولة » .

وراح فؤاد يفكر : من أى طراز من الناس هذا الرجل ؟ ولكنه لم يعرف . كل ما وصل إليه أنه طراز غريب من البشر .

ووقفت السيارة أمام البيت ، وهبط الرجلان : جلال هادئ ساكن ، وفؤاد تعبث به مشاعره المتباينة المتلاطمة . كان يحس أنه قادم على عمل ظالم ، سيسلب صاحب حق حقه ليعطيه من لا يستحقه ، ولكنه كان يستشعر فى الوقت نفسه أنه قادم على تضحية تحتمها عليه رجولته..

كان حاقدا على نفسه معجبا بها فى وقت واحد ، منقبضا قلقا حزينا حائرا ، وإن كان بصيص من النور يجاهد ليشق له طريقا فى ظلمات نفسه المتراكمة بعضها فوق بعض طبقات .

ودس يده فى جيبه وتحسس الخاتم فيه ، فأحس لسعا فى روحه ورجفة فى كيانه وخورا يدب فى أوصاله ورهبة تحتويه .

ووضع جلال المفتاح فى الباب وأداره ، ثم قال بصوت مسموع ليصل إلى آذان من فى البيت :

ـــ تفضل .

كانت الأم جالسة على الكنبة وسوسن غائصة فى مقعد كبير واضعة ساقا على ساق وسهير فى مقعد يواجه الداخل . واتجهت العيون لترى من القادم ، فلما رأت سهير فؤاد اضطربت وخفق قلبها كجناح حمامة ، وراودتها فكرة الفرار ولكنها تسمرت فى مكانها .

ولاحت الحيرة فى وجه الأم ، وراحت تسترق النظر إلى سهير والحنان يتدفق فى أغوارها ، ليمتزج بالقلق والعواطف المتنازعة المنقسمة المعقدة التى استكانت لها .

ورقص قلب سوسن طربا ، فطنت إلى شىء ، فما جاء أبوها فى هذه الساعة إلا ليتيح لفؤاد فرصة إعلان خطبته ثم يختفى ليذوب فى لياليه وحياته التى يعيش لها .

وتقدم فؤاد يصافح جميع من فى المكان وإن كانت عواطفه كلها تركزت فى سهير . ومد يده وصافح الأم ، ووضع يده فى يد سوسن فإذا بها تضغط على يده وفى عينيها بسمة وفى وجهها بشر .

وخطا نحو سهير خطوة وهو مزعزع النفس خائر ، أنهكته الأحاسيس التى تنهش جوفه دون رحمة ، ومد يده المرتجفة إليها فوضعت كفها فى كفه ، كانت يدها باردة فرت منها دماؤها .

وقال جلال وهو يشير إلى غرفة الاستقبال :

ـــ تفضلوا .

وتحرك فؤاد وهو مرتبك لا يدرى أيتقدم أم يقدم سوسن أم سهير ؟

ولاحظ جلال أن سهير تتأخر لتنسحب فاتجه إليها ووضع ذراعه خلف ظهرها وجعل يدفعها فى رفق لتسير معه ، كان يرى أن الأفضل أن تعلم الأمر وتنقبض لحظة ثم يتلاشى كل شىء .

وسارت سهير مسلوبة الإرادة ، ودخلت غرفة الاستقبال معه متوترة الأعصاب مرهفة الحس مطبقة الفم حتى لا تخرج الأنة المكتومة التى تجاهد لتنطلق منفسة عن النار التى تشوى كبدها .

وانسلت سوسن فى رشاقة وذهبت إلى غرفتها ترتدى ثوبا أنيقا ، وأدامت النظر إلى نفسها فى المرآة ورمزت بعينيها ، ثم خرجت مهرولة واتجهت إلى المطبخ .

ودخلت غرفة الاستقبال تحمل صينية عليها أكواب الشراب وهى تتقدم فى رشاقة متكلفة .. ودارت بالأكواب على الجميع ، ورفضت سهير أن تتناول شيئا وإن خطر لها أن تأخذ الكوب وتلقيه فى وجهها . وأحست الأم النار ترعى فى حشاها وتمنت لو تنصرف سهير لتفر من هذه القسوة القاتلة .

وقال جلال موجها الحديث إلى سوسن وهو يفسح مكانا بينه وبين فؤاد :

— تعالى هنا .

وجلست سوسن وهى تبتسم ، وقال لها الأب :

— جاء فؤاد ليعلن خطبته ، ليضع الخاتم فى إصبعك .

ومد فؤاد يده فى جيبه وأخرج الخاتم ، ودارت الأرض بسهير وانفجرت فى جوفها أوعية المقت والبغض والكراهية ، فإذا بها تبغض

حياتها ودنياها وأباها وأمها وفؤاد « والعرسة » الباغية ، وهبت ثائرة وانصرفت من الغرفة كالعاصفة وإن كانت لا ترى طريقها ، فقد حجبت دموعها بينها وبين العالم الآسن المتعفن .

وارتجفت يد فؤاد بالخاتم حتى عجز برهة عن أن يضعه فى الإصبع الطويلة البيضاء التى كان يقبض عليها بين أصبعيه ، وأسبلت سوسن عينيها متأهبة للقبلة التى سيطبعها على خدها ولكنه لم يفعل ، كان مشغولا عن كل ما حوله بمشاعر الندم التى راحت تمور بين جنبيه .

وأشاحت الأم بوجهها ومسحت بمنديل فى يدها دمعة انحدرت على خدها ، وقال الأب وهو مشرق الوجه :

— مبارك .

وكأنما كان ذلك إيذانا بالانصراف ، فنهض فؤاد مستأذنا وصافح الأم وسوسن وانصرف ، وخرج جلال معه دون أن يخطر له على بال أن يذهب إلى سهير يواسيها ويخفف بلواها . كان يعتقد فى قرارة نفسه أن ما يحسه الشاب فى هذه السن إن هو إلا أحاسيس صبيانية ما أسرع أن تتبدد السحب إذا ما أشرقت شمس النهار .

والتفتت الأم إلى سوسن وقالت فى رجاء :

— سوسن .. ارحمى أختك ، لا تزيدى فى عذابها ، يكفيها ما هى فيه .

فقالت سوسن فى سخرية :

— وماذا تريدين منى أن أفعل ، أن أذهب إليها أبكى معها ؟

— لا تثيريها .. لا تحاولى إغاظتها . هذا كل ما أريده .

وصمتت سوسن ولم تعد بشىء ، فهى تحس راحة إذا ما رأت غيرها يتألم ، وتنقلب هذه الراحة نشوة إذا كانت هى مبعث ذلك الألم .

وسارت سوسن إلى حيث كانت سهير ، ووقفت أمامها تعبث بالخاتم الذى وضع فى أصبعها ، ورأت سهير الخاتم فربا حقدها ، فقالت لتعكر صفو سوسن :

ـــ كان هذا الخاتم بالأمس فى إصبعى وهو اليوم فى إصبعك من يدرى فى إصبع من سيكون غدا ؟

فقالت سوسن فى تحد :

ـــ سيكون فى إصبعى غدا وبعد غد وبعد سنة وبعد عشرين سنة .

ـــ سيكون فى إصبع أية امرأة يبدأ اسمها بحرف السين ، فهو محفور فيه ف . س .، وهو لا يحب أن يتكلف ثمن خاتم آخر .

واقتربت سوسن منها فقالت وهى مشغولة بمراقبة نفسها فى المرآة :

ـــ اسمعى نصيحتى ، من السهل أن تحصلى على الشىء ولكن من الصعب أن تحافظى عليه .

فقالت سهير بانفعال :

ـــ من السهل أن نحصل على الشىء بالغش والاحتيال ، ولكن الصعب أن نحافظ عليه بشرف .

ولم ترتجف سوسن ولم تطرف لها عين ، وقالت :

ـــ لولا أننى لا أريد أن أعكر صفو الليلة لصفعتك .

فنهضت سهير متحدية ، وقرأت سوسن الشر فى عينيها فانسلت من الغرفة وهى كارهة ، ففى أغوارها السحيقة رغبة أن تضرب وأن تضرب ، وأن تؤلم وأن تثير نشوتها بالألم .

١١

كانت الأم جالسة على الكنبة باسرة الوجه شاردة اللب فقد اندلعت نار البغضاء فى البيت مذ ظهر فؤاد . صارت الأختان تتقابلان وتتقاذفان السباب لأتفه سبب وبلا سبب . ولجت سهير فى البغضاء وكانت تسخر من أبيها ولا تكتم مشاعرها المقيتة نحوه ، ومما زاد فى أسى الأم أنها استشعرت فتورا فى عواطف سهير نحوها ، وهذا يحز فى نفسها ويزيد فى أساها رهبتها من أن يتحول ذلك الفتور كرها .

تمزق قلبها وذرفت الدموع لما أصابها ، وما كانت تستطيع أن تفعل غير هذا فهى ابنتها وسوسن ابنتها ، ولكن شاء سوء حظها أن تصبح الأختان غريمتين متنازعتين على رجل واحد ، كأنما خلت الدنيا من الرجال ولم يبق غيره ! إنها تحبهما من سويداء قلبها ، لا تؤثر إحداهما بحب يفوق ما تكنه للأخرى ، فإن كانت قد تمنت أول الأمر أن يصبح فؤاد من نصيب سوسن ، فما ذلك إلا لأنها كانت تستشعر أن سوسن جار عليها زمانها . إنه قلب الأم يفتح كنوزه ليغمر بدرره ولآلئه من يحرمه الزمان من عطفه .

إن كان قلبها قد مال إلى سوسن إبان أزمتها فهو يميل الآن إلى سهير فى محنتها ، وما استطاع بميله هذا أو ذاك أن يحقق أملا أو يمسح بيده الحنون جروح النفس المتقيحة .

وفكرت فى فؤاد ، مرت عشرة أيام كاملة دون أن يطرق بابهم أو يسأل عن سوسن ، وباتت تخشى غدراته فإنها لا تثق فى الرجال ، لقنها ذلك الدرس جلال ، أمضى معها ليلة مترعة بالصفاء وأمضى الليلة الثانية

فى أحضان زوجته الثانية ، ظل يمرح ويلعب ويضحك ولم يتفوه بكلمة واحدة تنم عن غدره وأنه قد جهز كل شىء لزواجه الجديد .

آه لو غدر فؤاد بسوسن لتقوض البيت كله واندلعت فيه النيران . وربا قلقها ، وراحت أوهامها تمدها بصورة قاتمة ، فراحت تعجب من نفسها ومن زوجها وتتساءل كيف قبلا أن يزوجا ابنتهما من شاب جاء إليهما بلا أهل وبلا نسب ، ودون أن يعرفا عن ماضيه شيئا كأنما ولد ساعة أن التقى بهما !

كان أبوها يقول إن البنات يفتحن أمام الصائع والضائع أبواب البيوت المغلقة . وصدق أبوها فأبواب الأسر تفتح لكل من هب ودب من الراغبين فى الزواج .

ودق جرس الباب ، وهرعت سوسن إليه وفتحته فإذا بفؤاد يدخل ، وماأن وقعت عينا الأم عليه حتى تبخرت أوهامها وذهبت تستقبله وترحب به . وجلسوا فى غرفة الاستقبال ، وراحت سوسن تحدثه عن الثياب التى أعدتها وعن أشياء كثيرة أخرى وهو يتظاهر بالإصغاء ، فقد كان مشغولا بإحساساته التى تموج فى أرجائه — إنه أحس روحه تهفو إلى سهير . جنت كل خلجة من خلجاته وكل حاسة من حواسه إليها ، كانت عيناه فى شوق إلى رؤيتها ، وأذناه متعطشتين إلى عذب صوتها ، وأنفه يشتهى أن يشم عبيرها ، ولسانه يهوى مناجاتها ، أما أصابعه فتتلهف على لمستها السحرية .

وجعل يختلس النظر إلى الباب ويصيخ السمع لعله يسمع وقع أقدامها ، وأرهفت حواسه ودق قلبه دقات تحرك الحنان واللهفة والرغبة . كانت كل أمنيته أن تقدم وأن يحس قربها .

وقالت الأم لسوسن :

ـــ هاتى ثوب السهرة .

فقامت سوسن وجعل فؤاد يتبعها ببصره : كانت رشيقة متناسقة الأعضاء زاخرة بالفتنة والإغراء . كانت أنضج من سهير وأكثر أنوثة وجاذبية . وتمرد فؤاده واشتد وجيبه ، وغامت أعماقه بسحابة من الرهبة فأطرق فى أسى ، وهو واثق من أن ثورة نفسه إنما قامت من أجل سهير ، وما درى أن بذرة من بذور الحب لسوسن ألقيت فى روحه فى غفلة منه .

وعادت سوسن تحمل أثوابا كثيرة ، وأخذت فى تقديمها إليه ثوبا ثوبا وهو يقول :

ـــ رائع .. جميل .. مدهش ..

وقدمت إليه بيجاما من الحرير الأبيض وقالت فى دلال :

ـــ بيجامتك .

والتقت عيناه بعينيها فإذا فى عينيها بسمة خبيثة . خيل إليه أنها تسخر منه فأسبل جفنيه وارتجف وهبت عواطفه مزمجرة .. وقامت الأم وغادرت الغرفة لتعد شيئا تقدمه إليه ، وما أن غابت الأم عن أعين سوسن حتى مالت على فؤاد وطبعت على شفتيه قبلة طويلة حارة .

واضطرب فؤاد واشتد وجيب قلبه ، وتدفقت دماؤه حارة فى عروقه ، ودار رأسه واختلطت عليه مشاعره فلم يعد يدرى أيخفق قلبه استجابة لأساه أو استجابة لرضاه.كانت عواطفه تمتزج امتزاج الماء الملح الأجاج بالماء العذب الفرات .

وقالت سوسن فى إغراء :

ـــ سأذهب بعد غد إلى الشقة لأصف ثيابى فى الصوان .

فقال فؤاد دون تفكير :

ـــ وحدك ؟

ورنت إليه رنوة ساحرة وقالت :

ـــ لا ، مع أمي .

وأحس ندما ، ظاهره أن لسانه زل وتسرع ، وباطنه الذى لا يدريه أنه كان يشتهى أن تكون وحدها .

وقالت سوسن بعد أن جلست وقدمها تداعب قدمه :

ـــ بعد خمسة أيام سأكون فى الشقة وحدى أنتظرك .

فقال فؤاد :

ـــ كيف ستكونين وحدك ؟ بعد خمسة أيام ستكون دخلتنا .

واضطرب وراح يتضاءل ويتساءل كيف تحدث عن الدخلة هكذا ببساطة . لقد سبقت دخلته كل ترتيب ، وأعرضت عن كل عرف ، وولدت شاذة قبل أوانها .

وجاءت الأم تحمل صينية عليها بعض الفواكه ووضعتها أمامه ، ونهضت سوسن تعد ثيابها .

ودخلت سوسن غرفتها وسهير جالسة على حافة سريرها تكاد تموت كمدا ، ولم تلتفت سوسن إليها ولم تعبأ بها وراحت تعلق أثوابها فى أماكنها .

وعثرت سوسن على مفرش السرير الذى كانت سهير تعده لبيت الزوجية فجذبته وبسطته وراحت تتفرس فيه وفى عينيها طمع .

ولمحت سهير مفرشها فى يد سوسن فاربد وجهها وجن جنونها ، وهبت واقفة وقالت وهى ترتجف غضبا :

ـــ دعيه فى مكانه .

فقالت سوسن فى هدوء مشوب بزراية :

ـــ وماذا ستفعلين به ؟

وغلى مرجل غضب سهير ، فقالت وهى تتقدم لتنتزعه منها :

ـــ هاتى المفرش .

ووضعته سوسن خلف ظهرها لتحميه منها ، وهجمت سهير عليها وأمسكت بطرفه وأخذت تجذبه وهى تصيح :

ـــ هاتى المفرش يا سافلة .. يا عرسة .

وبلغت أصوات الأختين مسامع فؤاد والأم ، فاضطرب فؤاد وهاجت مشاعره بعد أن كادت تهجع ، وولد فى نفسه شعور جديد لم يكن ثورة ولم يكن حبا ، كان إشفاقا على سهير . وأطرقت الأم قلقة حائرة تراودها فكرة الذهاب لإخماد النار التى اشتعلت ، ولكنها خشيت أن يؤجج ذهابها اللهيب اندلاعا فصبرت وهى تدعو الله من أعماقها أن تنقضى هذه الليلة على خير .

وأصبح نصف المفرش بين يدى سوسن ، ونصفه الآخر بين يدى سهير . واستجمعت سهير قواها وشقته شقا ، كان أهون عليها أن تتلفه من أن تسلبه العرسة منها .

وابتسمت سوسن ، كانت راضية حقا .. فإذا كانت لم تأخذه فقد حرمتها أياه ، وهذه غاية أمانيها ، وتركته لها وانصرفت ووجهها يتألق .

ونظرت سهير إلى المفرش الممزق وصدرها يعلو وينخفض ، وفى صدرها ثورة وأسى وفى عينيها دموع ، فقد رأت فيه قلبها الممزق وآمالها التى تبددت .

وفاض حزنها ، وضغطت ثورتها المكبوتة على أعصابها فتوترت حتى كادت تنقطع ، فانكبت فى سريرها على وجهها ، وراحت ترتفع وتنخفض بكل جسمها كأنها كرة ، وتضرب الفراش بيديها لتنفس عن طاقة الشعور المذخورة التى كادت تنفجر .

١٢

وجاء اليوم الذى ستحمل فى ليلته سوسن إلى بيت الزوجية ، ودبت فى البيت حركة غير مألوفة : كانت الترتيبات تجرى لاستقبال المدعوين ، بعض السجاجيد تفرش ، كراسى خيزران تصف ، كراسى مذهبة تنسق . كرسيان مذهبان عاليان يوضعان فى الصدر ويزينان بالورود .

وراحت الأم تغدو وتروح بين أقاربها وأقارب زوجها الذين جاءوا من البكرة مع أولادهم وخدمهم ليشاركوا الأسرة أفراحها ، وقالت لها إحداهن :

— العقبى لسهير .

فقالت الأم وهى تبتسم :

— فى حياتك إن شاء الله .

وتحركت سوسن وحولها هالة من صاحباتها وأقاربها ، وغادرن الشقة وانطلقن إلى الحلاق وفى رءوسهن جميعا أمنية واحدة ، أن يقابلن الليلة فتى أحلامهن . وكانت العروس وحدها هى الواثقة من تحقيق الأمنية الغالية .

وقبعت سهير فى غرفتها وقد أغلقت عليها بابها . كانت متوترة

الأعصاب ضيقة الصدر ثائرة حانقة ، وكانت تستشعر فى أعماقها حزنا ثقيلا لا تقوى على حمله .

ومر الوقت فى صخب وحركة ، وتقاطرت السيدات والأم ترحب بهذه وتلك وهى تتلفت ، كانت قلقة لانزواء سهير ، وزاد فى قلقها نظرات التساؤل التى كانت تقرؤها فى العيون .

وانتصف النهار ، وتقضت ثلاث ساعات ، وأخيرا أقبلت سوسن تحف بها الفتيات وانطلقت الزغاريد ترحيبا بالعروس . وصكت آذان سهير فأحست كأنها خناجر سددت لقلبها ، وتلوت وهى تئن كحيوان جريح ، وراحت تكتم فمها بيدها حتى لا يبلغ نشيجها أسماع النساء اللائى تغص بهن الدار .

وانهالت الضحكات عليها كأنها سياط ، وراحت الضوضاء تخزها كالإبر وزادت أساها ، فلم تعد تحتمل النيران المندلعة فى حشاها ، كان عليها أن تفر قبل أن يصيبها البوار .

وارتدت ثيابها على عجل ، وفتحت الباب فرأت نفسها أمام أمها وجها لوجه .. توقفت برهة ، وقبل أن تتحرك كانت الأم قد دخلت وأغلقت الباب وقالت فى صوت خافت مضطرب :

ـــ إلى أين ؟

فقالت سهير فى يأس :

ـــ إلى أى مكان بعيد عن هذه الدار .. إنى أحترق .

فقالت الأم فى توسل :

ـــ سهير .. أنت عاقلة .. تحملى الليلة من أجلى ..

فقالت سهير .. وهى تتألم :

— دعينى .. دعينى أخرج أرجوك . لو بقيت هنا ساعة أخرى سأموت .. السكاكين تمزق أحشائى .. جبال جثمت على صدرى .. قلبى ينفطر .. كبدى تتصدع ..

وسالت العبرات على خد الأم ، وضمت سهير إلى صدرها فى قوة وراحت تغمغم :

— حبيبتى .. كبدى .

وقالت سهير وهى تزفر ذوب نفسها :

— أمى .. ارحمينى .

فقالت الأم فى ضعف :

— قلبى لا يطاوعنى .. قولى لى .. إلى أين ستذهبين ؟ ومتى تعودين ؟

وتحركت سهير صوب الباب وقالت الأم فى فزع :

— سهير !.

وأحست سهير ما تكابده أمها من خوف وما تحسه من ألم فزاد أساها ، ولكنها فتحت الباب وانطلقت لتفر من السعير الذى تتلظى فيه ، وكفكفت الأم دموعها وخرجت تبتسم للمدعوات ، وقلبها يقطر حزنا وهما وقلقا .

وتصرم النهار ، وأخذ فؤاد يرتدى ثيابه وعمر جالس على حافة السرير يرقبه ، وصديقان من أصدقاء العمل قد تأنقا وغاص كل منهما فى مقعد . ونفخ فؤاد صدره وهو يربط « البابيون » ، فقال له عمر وهو يضحك :

— مالك منفوش الليلة كأنك ذاهب إلى معركة ؟

فقال أحد الصديقين :

— ذاهب لفتح عكا .

وقال الآخر :

— معركة لن تسفر إلا عن جريح واحد .

وقال عمر وهو يضحك :

— وأسير .

وقال الأول :

— معركة عجيبة ، الجريح يأسر القائد ويسخره إلى الأبد .

وظل فؤاد يصغى وهو صامت . وخفت حركاته وأحس مرارة .. كانت أمنيته أن تظل زوجته طاهرة الذيل حتى ليلة الزفاف ، ولكن سخر منه قدره وحطم أمانيه .

وراح عمر يزجى إليه نصائحه ، واشترك الصديقان فى النصح وإن كانا لم يتزوجا بعد . وتظاهر فؤاد بأنه يصغى إليهم وارتسمت على شفتيه بسمة باهتة . كان يجاهد أن يخفى أثر ذلك الصوت الساخر الذى كان يرن فى أغواره مرددا « الخروف مذبوح قبل العيد .. الخروف مذبوح قبل العيد » .

وقال أحدهم :

— لو كنت تشرب لساعدك الشرب على رهبة اللقاء .

وقال عمر :

— لى صديق شرب ليلة زفافه وراح يعب حتى كاد يغيب عن الوجود ، وحمله أصحابه ووضعوه فى ذراع العروس ، وما أن دخل غرفة النوم ولمح السرير حتى ارتمى فيه بملابسه ، وغط فى النوم قبل أن ترفع العروس طرحتها .

وقال الأعزب الآخر فى ثقة الخبير :

ـــ على الليلة الأولى يبنى الكثير .

وانصرف فؤاد ورفاقه فى سيارة ، وظل الرفاق يتحدثون عن الليلة المرتقبة . كانوا يجدون متعة فى الإسهاب فى دقائقها وكان خيال الأعزبين يمدهما برؤى مثيرة وفؤاد يتألم ، ويزيد فى ألمه اضطراره لأن يضحك مجاملة .

ووقفت السيارة أمام بيت العريس . وقال قائل :

ـــ العريس .

وانتشر خبر وصوله انتشار الريح ، فإذا بزغاريد تنطلق قبل أن يهبط من السيارة ويضع رجله على الطريق .

وخفت نسوة إلى رأس السلم ينتظرن ، وصعد فؤاد وأصحابه متمهلين ، وقابلهم جلال بالترحيب وقادهم إلى غرفة الاستقبال حيث كان المأذون .

وعقد العقد ، وقام فؤاد ليجلس إلى جوار عروسه ، وراح يشق جموع السيدات والفتيات والغلمان وعيونه تتلفت ، كان يبحث عن سهير ..

وجلس إلى جوار سوسن واستمرت عيناه فى بحثهما ، رأى أحلام زوجة عمر ورأى نسوة كثيرات رآهن فى الحى ، ولكنه لم ير سهير ، فأحس حزنا ، ولكنه كان أشبه بالحبب على سطح كأس من الراح .

وشغل الناس بالناس ، وأخذ جلال عمر ورفيقين وانسلوا إلى سطح الدار وراحوا يشربون ويتقارعون الكئوس ، ويهذون ويضحكون فى غفلة من العيون . جلال يروى مغامراته ، وعمر يقص آخر ما شاهده

وما سمعه فى محكمة الجنايات ، والشابان الأعزبان يرويان النكات التى تدور حول الجنس . وانتصف الليل وقام العروسان لينصرفا وينفض السامر ، ووضع فؤاد ذراعه فى ذراع سوسن ، وسارا بين الحشود والزغاريد ، وراحا يهبطان فى الدرج والأم واقفة عند رأس السلم تنظر من خلال دموعها .

وغص الشارع بالناس والتفوا حول السيارة ، وصعدت سوسن وصعد خلفها فؤاد ، وكانت سهير واقفة تنظر من بعيد ، لم تستطع الفرار ، كانت تحوم حول الدار ، كأنما قوة مغناطيسية تجذبها إليها .

وتقدمت سهير خطوات وخفق قلبها فى شدة ، وتفجرت ينابيع حزنها وضغطت يد قوية على عنقها ، استشعرت نارا تلهب رأسها وظلت تنظر وهى محمومة ، تدور الأرض بها وتميد تحت قدميها .

ووضعت كفها على فمها المفتوح وهى تبكى ، خشيت أن تند منها صرخة أو يرتفع صوت نشيجها .

وانطلقت السيارة بالعروسين والعيون متعلقة بها ، وراحت سهير تنشج فى عصبية وقد تمزق فؤادها ، طعنت طعنة نجلاء مسمومة فسرى الألم الممض فى كل كيانها وكادت أن تنهار .

وسارت مطرقة تجر رجليها لتنزوى فى بيت الأحزان .

١٣

أقبلت سوسن وهى ترتدى ثيابا شفافة من النيلون الوردى ما كانت تستر مفاتنها ، ووضعت على أكتافها روبا من النيلون زادها فتنة وإغراء ، وكان شعرها متهدلا وعيناها تشعان بريقا يدير الرءوس ويعبث بالأفئدة .

وكان فؤاد جالسا فى مقعد وثير يرتدى فانلة سبور وبنطلون البيجاما ، ووضع ذراعيه المفتولتين فى استرخاء فوق مسند المقعد . واقتربت منه وتحسست عضلاته وقالت وهى تضحك فى خبث :

— عضلاتك طريت .

ورفع ذراعه وثناها وشد عضلاته ، وراح يمرر يده الثانية فوقها ويقول فى زهو :

— حديد .

ونهض ورفعها بين ذراعيه وقبلها ، فلفت ذراعيها حول عنقه وتعلقت به وراحت تقبله قبلة طويلة ورجلاها تهتزان فى الهواء فى مرح . ووضعها على الأرض فى رفق وجلس فى المقعد ، فرنت إليه رنوة طويلة ولمعت فى رأسها فكرة فابتسمت ابتسامة خفيفة ، وانصرفت وسرعان ما عادت وانسلت من خلفه ووخزته بدبوس كان فى يدها .

وتأوه وهب فزعا فضحكت من كل قلبها ، كانت سعيدة حقا . ومد يده ليقبض عليها ولكنها أفلتت منه وابتعدت ، اتجه إليها وهو يتوعد فهرولت أمامه ، وجرى خلفها وأمسكها وقبض على يدها ولواها فى

رفق ، وأخذ منها الدبوس ووضع ذراعها تحت إبطه وطفق يخز ظهر يدها وهى تتأوه وتضحك . كانت تحس وخز الإبر دغدغة فى روحها .

ومالت عليه وعضته فى ظهره فصرخ وترك يدها بحركة لا إرادية ، فجرت وهى تقهقه فى صوت عال وقد دمعت عيناها ، فأسرع خلفها ولف شعرها حول يده وراح يجذبه وهى تقصر حتى نامت على الأرض وهى غارقة فى الضحك .

ورن جرس الباب فتركها وأسرع يرتدى الروب فوق الفانلة وبنطلون البيجاما ، وتريث حتى نهضت سوسن وغابت فى غرفة أخرى ثم اتجه إلى الباب وفتحه . ارتفع صوت عمر مجلجلا :

— عاش من شافك ، عشرون يوما وأنت مختبئ .

وقالت أحلام وهى تدخل :

— شهر العسل .

ثم التفتت إلى فؤاد وقالت :

— قلت له إن غير مناسب للزيارة ولكنه أصر على حضورنا .

فقال فؤاد وهو يبتسم :

— مناسب جدا .. أهلا وسهلا .

وقال عمر مداعبا وهو ينظر إليه طويلا :

— والله نظفت .. ابيضيت .. بان عليك العز .

ضحك فؤاد وقال وهو يقودهما إلى غرفة الاستقبال :

— تفضلا .

وجلسوا ، وما لبثت أن قدمت سوسن فأسرعت أحلام إليها تعانقها ، وصافحها عمر وهو يقول :

ـــ عينى على زوجك باردة ، امتلأ .. معلوم أكل نظيف .

والتفت إلى فؤاد وقال :

ـــ الله يرحم أيام السجق .

وخرجت سوسن ثم عادت تحمل صينية عليها أكواب بها شراب أحمر .

وتناول عمر كوبا والتفت إلى فؤاد وقال :

ـــ أين فضيتك ؟

وضحكت سوسن وضحك فؤاد وعمر ، وعجبت أحلام لضحكهم .

وقالت سوسن :

ـــ ألا تعرفين فضية العزاب ؟

ـــ أبدا .

ـــ إنها علب الأناناس والتفاح والمشمش الفارغة .

فقالت أحلام وهى تضحك :

ـــ لم يكن لى شرف استعمالها .

وقالت سوسن وهى ترنو إلى فؤاد رنوة ذات مغزى :

ـــ ولا أنا .

وتقاصرت نفس فؤاد وتحركت فى جوفه أبخرة من الحزن ، وأراد أن يفر من هذا الحديث فقال لعمر :

ـــ انتظرت فى الصباح فى المكتب ، كنت أظن أنك ستمر على .

فقال عمر فى دهش :

ـــ لم أدر أنك ذهبت إلى العمل .

وقالت سوسن فى عتاب :

ـــ ذهب إلى المكتب من سابع يوم وتركنى وحدى .

فقالت أحلام وهى تبتسم :

ـــ الليل طويل .

وقال عمر :

ـــ ذهبت اليوم إلى محكمة الجنايات ، كانت تنظر قضية طريفة : قضية زوج عاد إلى بيته فجأة ودخل غرفة النوم فأحس وجود رجل تحت السرير . خشى إن فاجأ الرجل أن يكون معه سلاح فيضرب به فى لحظة من لحظات اليأس ، فرأى أن يهدئ روع الرجل وأن يجعله يركن إلى الاطمئنان ثم يعمل بعدها .

طلب الزوج من صديق الزوجة أن يخرج من مخبئه ولا داعى للشجار والفضائح ، وخرج الرجل فقاده الزوج إلى غرفة أخرى وجعل يحادثه ويرجوه أن يستر عرضه وألا يتحدث عما حدث مع أى إنسان بعد أن ينصرف فى أمان . وأفرخ روع الرجل وتأهب لينجو بنفسه ، وفجأة انقض عليه الزوج وخنقه بيده ولم يتركه إلا جثة هامدة .

وقالت أحلام فى ثورة :

ـــ أخطأ الزوج .

وقالت سوسن مؤيدة :

ـــ نعم أخطأ الزوج .

وقال عمر وقد اتسعت عيناه :

ـــ وماذا كان يفعل ؟

قالت أحلام فى اقتناع :

ـــ كان ينبغى عليه أن يقتل الزوجة .

فقالت سوسن فى إنكار :

ـــ يقتل الزوجة ؟ هذه قسوة .. هذه وحشية .

وقالت أحلام فى بساطة :

ـــ كان جدى يقول : لولا الكلبة ما دخل الكلاب البيت . اقتل الكلبة ينفض الكلاب عن دارك .

وقال فؤاد :

ـــ أنا أؤيد جدك .

وقالت سوسن فى إشفاق :

ـــ دعونا من هذا الحديث ، إنى أمقت حكايات القتل والموت ، لا نزال شبابا فلنستمتع بشبابنا .

وفتحت أحلام حقيبة يدها وأخرجت زجاجة صغيرة من « الأربيج » وقربتها من أنفها ، ولمحتها سوسن فمدت يدها وتناولت الزجاجة وقربتها من أنفها وقالت :

ـــ رائعة .

كانت سوسن تنتظر أن تقول لها : « تفضلى » فتقول « متشكرة » ثم تدسها فى صدرها ، ولكن أحلام قالت :

ـــ جاءتنى هدية من أخى فى عيد ميلادى .

ومدت يدها وأخذت الزجاجة وأعادتها إلى مكانها فى الحقيبة ، وسوسن ترنو إليها حانقة كأنما سلبتها حقا من حقوقها .

واعتدلت أحلام وقالت :

ـــ كيف حال سهير ؟

قالت سوسن فى هدوء :

ـــ كانت هنا بالأمس .

وارتبك فؤاد ونظر إلى سوسن فى دهش ، أذهله أنها تكذب فى يسر دون أن تتلجلج ، فما جاءت سهير وما وقعت عليها عيونهم بعد الزواج .

وقالت أحلام :

ـــ أحببتها منذ وقعت عليها عيناى ، لا بد أن أزورها يوما .

وانفلقت بذرة الكراهية لأحلام التى ألقيت فى نفس سوسن ، وراحت أحلام ترويها لتنبت المقت والبغضاء . واربد وجه فؤاد ، وفطن عمر إلى ما اعتراه فتلفت متأهبا ليغير هذا الحديث ، فوقعت عيناه على ورقة كتب عليها بعض أرقام ، فأخذها وقال وهو ينظر إلى فؤاد وإلى سوسن فى خبث مبالغ فيه :

ـــ ماذا تسجلان ؟ ما كل هذه الأرقام ؟

فقالت سوسن وهى تضحك فى دلال :

ـــ أبدا والله .

وحزرت أحلام ما يرمى إليه زوجها فضحكت وهى ترنو إليه فى خبث ، وقال فؤاد :

ـــ نتسلى أحيانا بلعب الدومينو .

وقال عمر وهو يضحك :

ـــ هذه أعجب تسلية فى شهر العسل .

وقال فؤاد فى سذاجة :

ـــ وما العجيب فيها ؟

فقال عمر وهو ينظر إلى زوجته :

ـــ فى شهر العسل كنا نحن أنفسنا تسلية .

واختلست سوسن نظرة مقيتة إلى أحلام وقالت :

ـــ ما رأيكم فى عشرة دومينو ؟

ولم تنتظر الجواب بل نهضت تعد نضدا ووضعت حوله أربعة كراسى ، ثم جاءت بالدومينو وورقة بيضاء وقالت :

ـــ هيا ، أنا وعمر ، وفؤاد وأحلام .

وقاموا إلى النضد ، وجلست سوسن قبالة عمر وجلست أحلام أمام فؤاد ، وبدأ اللعب وحمى . وقال عمر وهو يضرب المنضدة بحجر فى قوة ويقول لسوسن :

ـــ اكتبى لنا ثلاثة .

وتلفتت تبحث عن قلم ، فأخرج عمر قلمه « الشيفرز » وقدمه إليها فكتبت به وقلبته فى يدها وقالت :

ـــ قلم عظيم .

فقال عمر دون تفكير :

ـــ تفضلى .

فقالت سوسن فى ابتهاج :

ـــ متشكرة .

ورمتها أحلام بنظرة استنكارية وزراية ، وأحست سوسن وقع نظرتها فراحت شجرة الكراهية تنمو فى نفسها .

واستمر اللعب وخفت صوت عمر ولم تنبس سوسن بكلمة ، وراحت أحلام تضحك فى مرح .. كانت منتصرة .

وراحت شجرة الكراهية تنمو وتتضخم فى جوف سوسن ، وما انتهت الزيارة حتى كانت سوسن تتمنى أن تسلب أحلام أعز ما تملك وأن تراها تتلوى من الألم .

١٤

راحت سهير تفكر فى هدوء .. إنها تحب فؤاد حبا جارفا ، تهواه من كل قلبها ، ولكن ذلك الحب لم يعد حقا لها بعد أن أصبح فؤاد زوجا لأختها . عليها أن تطوى ذلك الحب ، أن تقبره كما تقبر الأم فلذة كبدها الذى مات .

لن يجدى الحزن ولا العويل ولا الاستسلام للأوهام ، فإذا كان قلبها تصدع ، وإذا كانت نفسها ذلت ، وإذا كان كبرياؤها جرح ، فعليها أن تجاهد لترأب الصدع وترفع الرأس وتأسو الجراح .

وسوسن .. إنها غدرت بها ، سلبتها حبها وألقتها بيدها فى جحيم العذاب ، ومع ذلك لا تستطيع أن تطوى قلبها على مقتها .. إنها أختها وستصفح عنها وتنسى ما فات .

وأرادت نفسها أن تثور على عقلها ، وأن تؤجج بين جنباتها نار الثورة وأن تحرك البغضاء ، فأصمت أذنيها عن وسوساتها ، فقد وطنت العزم على أن تنأى بنفسها عن انفعالات الحقد والمقت والغيرة التى لا تجنى منها إلا الضنى والعذاب .

ستنكر ذاتها وتضحى برغباتها ، وستعاون سوسن وفؤاد على أن يعيشا سعيدين إن كان مد يد المساعدة لتحقيق ذلك فى استطاعتها ، ففى

التضحية وقهر النفس لذة قد تفوق كثيرا اللذات التى تشبع .

إن الانفعالات خارجة عن إرادتها ، ولكن عليها ألا تستسلم لها وألا تترك لها نفسها تفعل بها ما تشاء .. ستقاومها ، وستقضى على العواصف والأعاصير التى تزمجر فى أغوارها المظلمة .

وارتفع صوت الأب ينادى :

— سهير .. سهير .

فقالت وهى تسرع إليه :

— حاضر .. يا بابا .

وانطلقت إليه هادئة وقد برأ وجهها من الانفعالات والغضب . ونظرت إليها أمها وهى راضية قريرة العين ، وقد بدأت تعتقد أن جلالا أكثر منها تجربة ، وأنه كان على صواب عندما قال إن الحب قبل الزواج إن هو إلا عبث صبيانى . فما أسرع أن نسيت سهير حبها ..

وسارت الأم خلف ابنتها ، ورأت جلالا يقدم إلى سهير الكرافتة والمنديل ويطلب منها كيهما وهو واقف يتأنق ويصلح الوردة فى عروة جاكتته ويتضمخ بالعطور .

فلما خرجت سهير قالت الأم لزوجها فى ريبة :

— ماذا وراءك يا ترى ؟

فالتفت خلفه فى خبث وقال :

— حائط وسرير .

فقالت فى صوت ينم عن غيرة :

— أقصد لمن كل هذه الزينة ؟

فقال وهو يبتسم :

— تقصدين ماذا أمامى ، أمامى سكة سفر .

— أمسافر أنت ؟

فقال فى خبث :

— مسافر إلى القمر بلا صاروخ .

وقهقه . كان يجد راحة فى سرد مغامراته ولو آلم ذلك زوجتيه ، وكان يعدل بينهما فى هجرهما والجرى وراء شهواته ، وفى سخريته القاسية التى كانت تدمى روحيهما وتشرح صدره . قالت الأم :

— كأنك ذاهب لتتزوج .

فقال فى بساطة :

— زواج بلا عقد ولا شهود ولا التزمات وغير مقيد بزمن .

فقالت فى غيظ :

— يا فاجر استح ، ستصبح جدا .

— وهل كل الجدود ماتوا ؟! كلما كبر الرجل ازداد تجربة وفنا .

ودنا منها مداعبا وقال :

— الدهن فى العتاق .

وبعدت عنه . وهمس فى نفسه هامس : كذاب .. السحر فى البرابر ..

وقهقه واهتز كرشه فى حركة تموجية من أعلى إلى أسفل . ودق جرس الباب فأسرعت الأم تفتحه ، وراح جلال يتم زينته .

ومس أذنيه صوت نسوى رقيق فأخذ يتشمم بأنفه ويدلك صدره بكفيه فى راحة ، وأخذ يغدو ويروح فى الغرفة . ولم يستطع أن يصبر وعلى بعد خطوات منه أنثى فخرج إلى حيث كانت زوجته والضيفة .

ووقعت عيناه على أحلام .. كانت جذابة يزيد فى جمالها سحر الشباب .. فنظر إليها كالذئب إذا اشتهى فريسة طرية ، وتقدم منها وهو يبتسم وقال :

ـــ أهلا .. أهلا .

ونهضت أحلام وقدمت له يدها ، فتناولها فى يده وجعل يربت على ظهر كفها بيده الأخرى فى حنان وهو يقول :

ـــ تشرفنا ! خطوة عزيزة .. تفضلى .

وجلست وجلس ، وأقبلت سهير فقامت أحلام إليها وقبلتها وصافحتها فى ود صادق ، وأحست سهير صدق عواطفها فاستشعرت راحة ، وجعل جلال يرنو إلى أحلام وهو يتمنى لو كان فى مكان ابنته .

والتفتت سهير إلى أبيها وقالت :

ـــ الكرافتة والمنديل فى غرفتك .

فنهض جلال واستأذن وذهب إلى غرفته يتم تأنقه ، ولولا أنه منطلق للقاء غانية شابة لجلس إلى جوار أحلام ينعم بالإصغاء إليها ومداعبتها .
ودخل جلال مرة أخرى يلقى على أحلام نظرة ، واستأذن وانصرف يدندن أغنية عاطفية وهو نشوان .

وراحت الأم وأحلام وسهير يتجاذبان أطراف أحاديث عابرة ، ثم نظرت أحلام إلى ساعتها وقالت :

ـــ ما رأيك يا سهير فى أن نذهب معا الليلة إلى السينما ؟

وترددت سهير قليلا وقالت الأم :

ـــ فكرة طيبة .. قومى يا سهير .

وذهبت سهير تتأهب للخروج .. ثم انطلقت أحلام وسهير والأم ترقبهما مغتبطة ، فقد برأت نفس ابنتها وذهبت إلى السينما .

كانت أحلام تهدف إلى إتاحة الفرصة لسهير لتتحدث .. لتنفس عن عواطفها المكبوتة .. لترفع عن كاهلها أثقال الهموم التى تحملها وحدها . وكانت متأهبة لمشاركتها فى حمل همومها ، ولأن تمسح بعطفها آثار الحزن الثقيل الذى أنقض ظهرها .

قالت أحلام :

ـــ هل زرت سوسن ؟

فقالت سهير فى صوت خافت :

ـــ لا والله .. ولكننى عازمة على أن أزورها غدا أو بعد غد .

وصمتت سهير ، فقالت أحلام :

ـــ كلنا له قصة . وكان علينا أن ننسى .. فجاهدنا حتى نسينا وسعدنا بحياتنا الجديدة . لا بد أن ننسى ما فات .

فقالت سهير فى عزم :

ـــ سأنسى .

وقالت أحلام فى إشفاق :

ـــ ولكن قصتك تختلف عن كل قصصنا .. هجرنا من نحب وتزوجنا ، وساعدنا على النسيان بعد الحبيب . أما أنت فإن من خفق بحبه قلبك سيكون دواما بقربك يجدد الأشجان ويؤجج نار الهوى .

فقالت سهير وفى صوتها أسى :

ـــ لم يعد لحبى مكان .. أصبح بلا أمل . إننى لن أجاهد لأنسى فهذا محال . ولكنى سأجاهد لأحول حبى من مجراه إلى مجرى آخر .

سأحول حبى الدافق إلى صداقة عاقلة أغمر بها سوسن وفؤاد .

وساد الصمت بينهما برهة ، ثم قالت سهير وفى عينيها بريق :

— لم يعد لى ما أرجوه إلا أن تسعده سوسن .

١٥

كانت سوسن تعيد تنسيق ملابس زوجها فى الصوان ، ووجدت بين الثياب صورة فأخرجتها وتطلعت إليها فاربد وجهها وخفق قلبها واستولى الحنق عليها : كانت صورته مع سهير .

وتطلعت إلى سهير برهة فاستشعرت عقارب الغيرة تلسعها ، فإنها خطر دائم جاثم أمام عينيها .. إنها سيف مسلط على رقبتها .. إنها .. إنها غريمتها .

وتدسست إلى رأسها فكرة أن سهير قد تسلبه منها يوما ، فتحرك المقت الأصفر يلون كل إحساساتها ، وانفجر فى أعماقها مرجل غضبها . كانت تبغض أشد البغض فكرة أن يسلبها أحد شيئا وإن كانت تمتلئ رضا إذا ما سلبت الناس أشياءهم .

وراحت تغدو وتروح فى الشقة ثائرة . ودنت من فؤاد أكثر من مرة وكانت تهم أن تثور فى وجهه وأن تتهمه بأنه لا يزال يحب سهير ، وأن تلقى بالصورة التى يخفيها بين طيات ثيابه كالطلبة العاشقين أرضا ، وأن تدوس عليها بأقدامها ، ولكنها كانت تكبت رغبتها وتبذل جهدا عنيفا فى ترويض نفسها المزمجرة .

كان فؤاد يقرأ فى كتاب فوقفت تنظر إليه برهة ، ثم تقدمت منه وانتزعت الكتاب من يده وقالت :

ـــ قراءة .. قراءة ، لقد ضقت بهذا الكتاب الذى سلبك منى .

وابتسم ابتسامة مغتصبة وقام إليها يداعبها ، ولكنها تركته وذهبت تنسق ثيابها . وشرد فؤاد يفكر .. خرج بالأمس وقابل صديقا وعاد قبل العاشرة مساء فإذا بها تقابله وقد زوت ما بين حاجبيها وتتهمه بأنه لم يعد يهتم بها ، ثم تنفجر باكية وتنطلق إلى غرفتها وتغلق بابها عليها .

وجلس اليوم يقرأ فضاقت بقراءته ذرعا وانتزعت الكتاب منه .. وياليتها بقيت معه بل غادرته وانصرفت .

وتململ فى مقعده ، ضايقه أنه بدأ يحس أن حريته تسلب وأنه يكبل برغبات سوسن . وفكر فى أن يثور قبل أن يستفحل الأمر وأن يعمل بنصائح أصدقائه ، فلا يحفل ببكائها إذا بكت ، ولا يأبه باعتراضاتها إذا اعترضت ، وأن يستمر يسعد بحياته دون أن يلتفت لتفاهاتها ، ولكن قلبه لا يطاوعه .

دق جرس الباب فعادت سوسن إلى حيث يجلس فؤاد وهى تقول فى ضيق :

ـــ ترى من هذا الذى يأتى فى هذه الساعة من الليل ؟

فقال فؤاد :

ـــ لم يبدأ الليل بعد .. الساعة السابعة .

ونظرت إليه فى إنكار فقد ساءها أن يعترض على ما قالت ، وذهبت إلى الباب وفتحته .

رأت سهير أمامها فابتسمت وإن دق قلبها وسقطت أحشاؤها وسرت فيها رعدة ، ومدت سهير يدها وقالت فى هدوء :

— مبارك .

وأحست سوسن كأن خنجرا طعن فؤادها فاضطربت ، وأرادت أن تخفى اضطرابها فلفت ذراعها حول أختها وقالت :

— أهلا سهير . كيف أنت ؟ لم أرك من مدة . ألم أوحشك يا خائنة ؟

وسرى فى جوف سهير أسى ، انفعلت لما سمعت « يا خائنة » ولكنها راحت تقضى على مشاعر الحزن التى أرادت أن تتدفق وقالت :

— كنت أنتظر أن يحين الوقت المناسب للزيارة .

— وهل لم يحن قبل الليلة ؟

فقالت سهير مداعبة :

— لا يجوز زيارة العروس قبل انقضاء شهر العسل .

وكلفها ذلك جهدا فصمتت لتسترد أنفاسها التى بهرت .. ومس صوت سهير أذنى فؤاد فارتبك ووقف حائرا وخفق قلبه فى شدة ، وفغر فاه وبان فى وجهه آى الانفعال وراح يفكر فيما يفعل وفيما يقول فألفى رأسه خواء .

وأصبح أمامها وجها لوجه ، ومدت يدها تصافحه فمد يده وهو منفعل ، وقالت وعيناها ثابتتان :

— مبارك .

فقال فى صوت متهدج خافت :

— الله يبارك فيك .

وجلس ثلاثتهم والانفعالات تدوى فى أعماقهم وإن كانوا يجاهدون أن يبدوا هادئين . كانت سوسن تعجب من ذلك القلق الذى يلفها ، باتت تخشى سهير وما كانت تخشى أحدا ، إنها تخشاها لأنها لم تعد تملك ما يؤخذ بينا هى أصبح فى يدها ما يسلب ، وإن موتها أهون عليها من أن تهزم .

وكانت سهير تقاسى من لسع النار التى تسرى فى أحشائها ،ومن عواطف الحب الموءود الذى كتب عليه أن يعيش فى كهوف ذاتها ، يرهقها ويعذب روحها .

وكانت نوازع نفس فؤاد متضاربة متعارضة ، كان يحس تضاؤلا وهوانا وخزيا وأسى وحزنا .. وحبا . انقباض وانشراح .. وكدر وفرح .. ومشاعر كثيرة معقدة يحسها يعجز عن أن يميزها ! وظل مدة ينظر دون أن يرى ويشرد دون أن يفكر ، كان يعيش فى شبه غيبوبة .

وقالت سوسن وعلى شفتيها بسمة حائرة :

— كيف حال ماما ؟

— بخير . إنها تترقب حضوركم .

وقال فؤاد :

— وكيف حال بابا ؟

فقالت سهير وهى تبتسم :

— على حاله .

وابتسم فؤاد ، وبدأ التوتر ينقشع ، وقالت سهير :

— مرت علىّ أحلام هانم من مدة ، وذهبنا معا إلى السينما ، إنها سيدة فاضلة قلبها من ذهب .

وقال فؤاد فى حماسة :

— زوجها إنسان ، إنه أنبل أصدقائى .

واقترب فؤاد من سهير وطفقا يتحدثان ، وسوسن ترنو إليهما فى غيظ وقد تحركت غيرتها .

وقامت سوسن وأحضرت علبة شيكولاتة وعادت سريعا ، خافت إن تأخرت فى إعداد ما تقدمه لأختها أن يدور بينهما ما تخشى . وقدمت العلبة إلى سهير فتناولت قطعة ، وتناول فؤاد قطعة ، وأخذت سوسن قطعة ووضعت العلبة على نضد أمامها .

وراح فؤاد يفض الغلاف المفضض فى حرص ويخرج قصاصة الورق الشفافة المطبوع فيها بخته ، ونشرها وقرأ : « الحلم سيد الأخلاق » .

ونشرت سهير الورقة الشفافة وقرأت ما فيها وهى صامتة ، فقال فؤاد وهو يأخذ منها الورقة :

— ماذا كان بختك ؟

وخفق قلب سهير وبانت فى عينيها حيرة . وقرأ فؤاد : « الصبر طيب » .

وساد السكون برهة ، ولمح فؤاد سوسن وهى تطوى الورقة وتفركها بيدها فقال لها :

— ماذا جاء بختك ؟

— كلام فارغ . هذا عبث أطفال .

ومد فؤاد يده ليأخذ الورقة التى كورت وضغطت . ولكن يد سوسن كانت أسرع منه إليها وراحت تمزقها إربا ، كان مكتوبا فيها : « الحسود لا يسود » وما كانت تحب أن يكون هذا بختها وإن كان عبث أطفال .

ودارت كئوس الحديث بينهم مرة أخرى ، ووجد فؤاد وسهير فى الحديث راحة نفسية ومتعة روحية ، بينما فاض كأس سوسن بالخوف والقلق والغيرة .

وقامت سهير مستأذنة ، وخفق قلب سوسن حتى كاد يفر من فيها .. وسوس لها وهمها أن فؤاد سيذهب لتوصيلها ، ولكن فؤاد صافح سهير وقال :

ـــ مع السلامة ! تحياتى لماما وبابا .

ولم تهدأ نفس سوسن .. راحت تجزم لنفسها إنها أحست يد فؤاد وهى تضغط على يد سهير .

وانصرفت سهير ، وعاد فؤاد إلى غرفة النوم وسوسن خلفه . كانت متوترة الأعصاب تمور فى أعماقها الغيرة وتخزها إبر الشك . ولم تستطع أن تكتم عوطفها فقالت وهى تنظر إلى فؤاد فى تحد :

ـــ خانتك عيناك . قرأت فيهما كل شىء . إنك لا تزال تحبها .

فقال فؤاد فى فزع :

ـــ سوسن !

واندفعت تفح كالأفعى :

ـــ ماذا قلت لها لما خرجت وتركتكما وحدكما ؟

فقال فؤاد فى إنكار وهو يتألم :

ـــ سوسن !

ودنت منه وقالت وهى تمد رأسها :

ـــ تواعدتما على أن تلتقيا وراء ظهرى .

فثار فؤاد ورفع يده ولطمها لطمة قوية ، ودفعها فى شدة فإذا بها تسقط على الأرض .

فزع فؤاد ولم يدر كيف فعل ذلك .. وأطرق نادما وقد انبثق فى روحه القلق والحزن والحنان . واجتازته رعدة فوقف يشهق ويزفر فى صوت مسموع وصدره يعلو وينخفض .

وراحت سوسن تمرر يدها على خدها ، ثم زحفت فتعلقت بساقه ، ونهضت حتى إذا ما بلغت الكف التى لطمتها راحت تقبلها ، واستوت واقفة وقبلت فؤاد قبلة حارة وهى متعلقة به وراحت تدفعه فى رفق حتى وصلت إلى زر الكهربا وأدارته فساد الغرفة ظلام .

وخيم السكون ، ولم يكن يشقه إلا غمغمتها ونشيجها .. كان نشيجا ينطلق ليفسح فى الصدر لمشاعر الطمأنينة والراحة .

١٦

تململ فؤاد فى جلسته ، ثم نهض وأخذ يغدو ويروح فى ضيق . كان مرتديا بذلته ، وكان ينتظر سوسن حتى تتم زينتها . ونادى وقد نفد صبره :

ـــ هيا يا سوسن .

وإذا بصوت سوسن يقدم من غرفة النوم :

ـــ لو أنصفت لذهبت وحدك .

ـــ كيف أذهب وحدى وقد أخبرت عمر أننا سنمضى السهرة عندهما ؟ سيغضب عمر .

فقالت فى استخفاف :

— وماذا يهمنى من غضبه ؟

فقال فؤاد فى انفعال :

— إنه صديقى ، ولم يفعل الرجل شيئا حتى نهينه .

قالت سوسن فى حقد :

— أصبحت أكره أحلام .

قال فؤاد فى دهش :

— وماذا فعلت أحلام ؟

— تتدخل فيما لا يعنيها .

وصمت فؤاد وإن راح يصرف أنيابه فى غيظ . فطن إلى أن سوسن صارت تكره أحلام لأنها تزور سهير وتواسيها وتحاول أن تكون بلسما لجرح نفسها الذى خلفته سوسن . وهم بأن يقول لها إن أحلام لا تستأهل هذا الكره بل تستحق تقديرها ، ولكنه خشى أن يجرى فى أثناء النقاش اسم سهير على لسانه ، فتنشب بينه وبينها معركة من المعارك التى أصبحت طابع البيت ، فلاذ بالصمت ، وطفق يغدو ويروح وهو يضرب كفه بقبضة يده فى غضب .

واتجه إلى حيث كانت جالسة أمام المرآة وقال فى ضيق :

— بالله هيا .

وراحت تضع الأحمر على شفتيها فى هدوء قاتل ، وخرج فؤاد من الغرفة وهو يجاهد ليكبت ثورته .

ووقفت سوسن أمام المرآة تديم النظر إلى نفسها فى إعجاب ، ثم رمزت بعينها لخيالها وابتسمت ، وسارت تتهادى .

وانطلقا معا إلى بيت عمر ، وما إن راحا يهبطان فى الدرج حتى انقشع غضب فؤاد ، وأخذ يحادث سوسن متوددا .

وبلغا الدار ودخلا إلى حيث كان عمر وأحلام . كان عمر يطالع فى صحيفة فنحاها وقام يرحب بالقادمين ، وقال له فؤاد :

— ماذا تقرأ ؟

فقالت أحلام :

— لا يقرأ إلا الحوادث والجرائم ومصائب الناس .

وابتسمت سوسن وهى تنظر إلى أحلام ، وكان مبعث ابتسامها أن أمنية همست فى أعماقها تتمنى أن تقرأ فى الصحف يوما فضيحة لأحلام .

وقال عمر وهو يبتسم :

— كنت أقرأ حادثة غريبة : دخل رجل دار السينما فى الظلام ، وجاء مكانه إلى جوار سيدة فراح يداعب قدمها بقدمه ، فاستكانت له .. ومد يده ووضعها فى يدها فلم تسحب يدها .. ومال عليها يهمس ويواعدها على اللقاء بعد انتهاء العرض فقبلت دعوته ، ثم أضيئت الأنوار ونظر الرجل إلى جارته .. فإذا بها زوجته .

فقال فؤاد فى إنكار :

— لا . هذه مصادفة يتعذر وقوعها .

— ولكنها وقعت .

فقال فؤاد :

— إنها ليست مصادفة واحدة ، إنها سلسلة من المصادفات : يذهب الرجل فى يوم ما إلى السينما وتذهب الزوجة فى نفس اليوم إلى السينما .. ويدخل سينما بالذات تدخلها زوجته .. ويختار مقعدا من مئات المقاعد

فلا يقع اختياره إلا على المقعد المجاور لزوجته .. إنني لا أصدق أن كل هذه المصادفات تحدث دفعة واحدة .

قال عمر :

ـــ هذا هو القدر .

فقالت سوسن :

ـــ هذا قدر قاس .

وقال فؤاد فى اقتناع :

ـــ يخيل إلىّ أن هذه الحوادث من بنات أفكار المحررين .

فقال عمر مدافعا :

ـــ أبدا ، هذه الحوادث من خلق الحياة ، لو ذهبت مرة إلى محكمة الجنايات لتيقنت أن ما يكتب إن هو إلا صورة ميتة لواقع ينبض بالحياة .

فقالت أحلام فى اشمئزاز :

ـــ لواقع متعفن .

فقال عمر فى بساطة :

ـــ سواء أكان مشرفا أم متعفنا فهو الواقع .

وتململت سوسن فالحديث لا يستهويها وهى لا تستطيع أن تشارك فيه . وزاد فى ضيقها أنهم شغلوا عنها بنقاش تافه سخيف !

قال عمر وهو يبتسم :

ـــ وقعت حادثة شبيهة بهذه مع بشار بن برد ، أتذكرها ؟

فقال فؤاد :

ـــ لا . قل .

قال عمر وهو يبتسم ابتسامة خبيثة :

— المقام غير مناسب لروايتها .

فقالت أحلام وهي تنهض :

— أتريد أن ننصرف :

قال فؤاد :

— عفوا .

وقالت سوسن في جرأة :

— لم نعد طفلتين ، إننا زوجتان .

فقال عمر وهو يضحك :

— إنها مذكورة في كتب الأدب .. كان بشار ماجنا وكان يفخر بمجونه ، وأراد بعض أصحابه أن يسخروا منه فقالوا له إنهم قد جاءوه بامرأة رائعة تعبده عبادة ، وقد برحها الوجد والهيام،وأخذوا بشارا من يده وقادوه إليها .. كان أعمى .. وجلس بشار يداعب المتيمة به ويتودد إليها ويصب في أذنيها أرق عبارات الغزل ، وأمضى معها ساعات مترعة باللذة ، وبعدها كشفت المرأة عن شخصيتها .. كانت امرأته ، فقال لها بشار : «ما أطيبك حراما وأبغضك حلالا » .

وقهقه عمر وابتسمت أحلام ، وتبادل فؤاد وسوسن نظرات خاطفة ولاحت في وجه فؤاد مسحة من الأسى ، وبان في عيني سوسن غيظ شديد . وفطن عمر إلى عدم الارتياح الذي بدا في وجه فؤاد وسوسن فظن أن ما قصه خدش حياءهما . فقال معتذرا :

— آسف ، قلت لكما إن المقام غير مناسب لروايتها .

وصمت قليلا ثم قال ليبرر خطأه :

— ولكنها مدونة في كتب الأدب .

وعجبت أحلام لذلك القلق البادى على الزوجين ، فما قاله عمر لا يخدش الناموس . وفطن فؤاد إلى أن سهومه أقلق صديقه وزوجته ، فقال وهو يضحك :

ـــ بسيطة .. فى كتب الأدب ألعن منها .

وانقشع التوتر الذى ران لحظات على جو الجلسة ، وراحوا يتجاذبون أطراف الحديث .

وقال عمر فجأة :

ـــ ما رأيكم فى أن نذهب غدا إلى كبريتاج ؟

وقال فؤاد فى حماسة :

ـــ فكرة رائعة .

وقالت أحلام وهى جالسة على حرف مقعدها :

ـــ وعندى فكرة رائعة أخرى .

قال عمر وفؤاد :

ـــ ماذا ؟

ـــ أن نأخذ سهير معنا .

اضطربت سوسن فى شدة وخفق قلبها ولفتها رهبة . ولم تستطع أن تكبح زمام عواطفها فقالت :

ـــ لا أظن أن سهير تقبل .

ولم ينبس فؤاد بكلمة ، وقال عمر :

ـــ أحلام تستطيع أن تقنعها .

وقالت أحلام فى مرح :

ـــ غدا صباحا نمر عليكما ومعنا سهير .

وجف حلق سوسن وتحركت غيرتها وامتلأت حنقا ، وفى أثناء ثورة نفسها العارمة ألقيت فى روحها بذرة فكرة : أن تحرم فؤاد من صديقه ، وأن تسلب أحلام زوجها .

١٧

راحت سوسن تضع « السندوتش » فى الحقيبة الصغيرة التى وضعت فيها مايوهين وفوطتين وبعض أدوات بسيطة ، وكان فؤاد يرقبها وهو يغدو ويروح ودنا منها يداعبها فطبعت على خده قبلة تركت أثرا واضحا من الأحمر ورأت أثر شفتيها على خده فابتسمت فى خبث ولم تنبس بكلمة .

وارتفع صوت كلاكسون متصلا ، كأنه ينادى أحدا ، ولم يتحرك فؤاد فما كان ينتظر أن يقدم عمر فى سيارة . واستمر الصوت فى ندائه فذهب فؤاد إلى الشباك ونظر فألفى عمر وأحلام وسهير فى سيارة مكشوفة . فأشار لهم بيده ثم عاد إلى زوجته وقال :

— هيا .. لقد جاءوا .

وانطلقا مسرعين ، واختلست سوسن نظرة إلى الأحمر الذى خلفته فى خده فانشرحت ، ستراه سهير وسيعلنها أن زوجها يحبها ، وسيقضى على آخر أمل لها إذا كان لا يزال هناك أمل ينبض بين جنباتها .

ووصلا إلى السيارة المكشوفة ، وبدأت التحيات ، وإذا بعمر ينفجر ضاحكا ويقول مداعبا :

— اعقل يا رجل ، أهكذا على الريق !؟

واتسعت عينا فؤاد فى دهش وقال :

ــ ماذا ؟

قال عمر وهو يدفعه فى رفق :

ــ امسح خدك .

ودنت سوسن منه وأخرجت منديلا صغيرا وراحت تمسح الأحمر من خده فى حنان . ونظرت سهير فاضطربت وغضت من بصرها ، وتحركت عقارب الغيرة فى جوفها على الرغم منها ولم تقو على كبحها .

وركبت سوسن إلى جوار سهير وهى تبتسم ، ولفت ذراعها حول أختها تضمها إليها . لم تكن ضمة حنان ، كان فيها شىء من قسوة . وجلس فؤاد إلى جوار زوجته وهو يقول لعمر :

ــ من أين لك هذا ؟

قال عمر وهو يبتسم :

ــ الشحاذ له نصف الدنيا .

ودارت السيارة وانطلقت ، وراح عمر يتم حديثه قال :

ــ لى صديق يملك سيارتين ، آخذ منه هذه السيارة كلما احتجت إليها .

قال فؤاد وهو يلوى شفته السفلى :

ــ هذا هو الحال منذ الأزل ..

وراح يرتل : « إن أخى هذا له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة » .

والتفتت أحلام إلى سوسن وضحكت ، والتفت عمر إليها وضحك . حتى سهير ابتسمت ، وفطن فؤاد إلى ما اضحكهما فمرر يده على قرنيه وقال :

— يا فتاح ياعليم .

واستمر الصحاب يتسامرون طوال الطريق ويضحكون وسهير صامتة ، أحست أنها غريبة ، وضاق صدرها وندمت على أنها استجابت لدعوة أحلام .

وبلغوا حلوان ووقفت السيارة أمام الحمام ، وهبطوا مرحين ، وكانت سوسن أكثرهم مرحا فقد قرأت القهر فى وجه سهير .

وقال عمر :

— أرى أن نستحم أولا قبل أن تحمى الشمس ، ثم نجلس نتسامر .

فقال فؤاد وهو يهز الحقيبة التى فى يده :

— نجلس لنأكل ، هنا سندويتشات .

ودخل عمر وأحلام كابينة ، ووقف فؤاد أمام كابينة وقال لسهير :

— تفضلى أنت وسوسن ، وسأنتظر هنا .

فقالت سهير وهى تبتسم ابتسامة باهتة :

— متشكرة .. إننى لا أنزل إلى الماء . أفضل أن أجلس فى الشمس .

وقالت سوسن وهى تضحك :

— إنها تخشى الماء .

وصمتت سهير ولم تقل شيئا وإن كانت سوسن تكذب فهى تعلم أنها لا تهاب الماء ، وأنها كانت تسبقها فى السباحة . ولكنها صارت تخجل أن تتعرى أمام الناس بعد أن كبرت .

وذهب فؤاد مع سهير إلى نضد فى وسطه فتحة مستديرة ثبتت فيها مظلة كبيرة مخططة ، وسحب كرسيا تحت المظلة وقال :

— تفضلى .

ووقفت سوسن ترقبهما لا تجرؤ على الدخول إلى الكابينة خشية أن يفوتها شيء مما يدور بينهما ، وجلست سهير ، وعاد فؤاد وغاب هو وسوسن في الكابينة وسهير تتلفت فى قلق ، وبان فى وجهها أسى عميق وفاضت شجونها ففرت من عينيها دمعة .

وخرج عمر وأحلام ، وخرجت سوسن وفؤاد ، وكانت سوسن ترتدى مايوها ضيقا ملتصقا بجسمها فأبرز مفاتنها فى إغراء ، ونظر إليها عمر نظرة سريعة وغض من بصره ليخفى بريق الإعجاب .ووقف فؤاد مرتبكا ، كان يستشعر غيرة وراحت دماؤه تتدفق حارة فى عروقه ، ولو طاوع نفسه لأسرع يغطى جسم زوجته .

واندفعوا إلى الماء وألقوا بأنفسهم فيه ، ووقف فؤاد بجسمه الرياضى البديع فى الحوض والماء لا يكاد يصل إلى وسطه ، وراح يطول ويقصر . ووقفت أحلام بالقرب منه تستحم بينا راحت سوسن تشق الماء شقا وعمر فى أثرها .

ودارت سوسن دورة ، وعامت تحت الماء حتى إذا وصلت إلى عمر جذبته من رجله ، وغطس عمر تحت الماء وغابا برهة استشعر فؤاد خلالها ضيقا وغيظا وكاد صدره ينفجر . وطفت سوسن على سطح الماء وطفا عمر بعدها ، وراحت سوسن تضرب الماء وتجرفه بكفيها لتغرق به وجه عمر ، فدار عمر بجسمه دورة كاملة وراح يضرب الماء برجله ضربات قوية متتابعة ، فإذا بالماء يرتفع فى الهواء ثم يهبط ليرتطم بسوسن ، وفى رشاقة هربت سوسن من قذائف الماء .

ووقف فؤاد وأحلام ينظران ، وقالت أحلام فى براءة :

ـــ إنها سباحة ماهرة .



وكانت سوسن ترتدى مايوها ضيقا ملتصقا بجسمها

ولم ينبس فؤاد بكلمة ، كانت نار الغيرة تشوى كبده ، وكانت ثورة نفسه عارمة حتى إنه راح يتقدم دون أن يتحرز أو يفكر فى أنه لا يعرف العوم . ودنا من سوسن وألقى عليها نظرة نارية ولكنها لم ترتجف بل راحت تعوم تحت الماء ومرت من بين ساقيه وقرصته فى رجله ثم طفت على سطح الماء وهى تضحك .

وراحت سهير تنظر إلى ما يجرى أمامها وهى ضيقة به متبرمة ، واستشعرت خجلا لما رأت ما تفعله سوسن ، ولكنها راحت تؤنب نفسها وتتهمها بأنها لا تزال تحقد على أختها ، وحاولت أن ترد روحها إلى طبعها دون جدوى ، كانت تعيش فى عذاب .

وخرجت أحلام من الماء وذهبت إلى الكابينة وعادت وقد غطت جسمها ببرنس ، وأسرعت إلى حيث كانت سهير، وخرج عمر وفؤاد من الماء وبقيت سوسن تقوم بعرض بعض الألعاب وهى مسرورة منشرحة ، فقد أحست وخز النظرات المصوبة إليها .. كانت نظرات ملتهبة تدغدغ حواسها . .

وذهب فؤاد إلى المظلة وقد وضع على ظهره فوطة ، وانسل عمر إلى كابينة فؤاد ، وفتح الحقيبة واستولى على بعض سندويتشات ، ثم انطلق إلى حيث يجلس الرفاق .

وقدم إلى سهير وإلى زوجته وإلى فؤاد السندويتش ، وراح يقضم ما فى يده فى نهم ، والتفت إليه فؤاد وقال :

— من أين لك هذا السندويتش ؟

فقال عمر فى هدوء :

— لى صديق جاء بسندويتشات معه وتركها ولم يفكر فى إطعامنا ، فغافلته وسرقت ما يسكت صراخ بطوننا .

وقضم عمر قضمة وقال :

— ألذ الأخذ ما سلب .

وضحكت أحلام وابتسمت سهير ابتسامة كلفتها كثيرا ، لاح فى عينيها قلق وغامت صفحة وجهها بسحابة من الكدر ، ودق قلبها فى عنف وأحست فى حلقها وقدة نار .

وقضم فؤاد السندويتش وهو ساهم ، ونبت فى جوفه قلق ، وزاد فى قلقه أن قلبه أحس ما فى قلب سهير ، وهمس فى جوفه صوت نادم يقول : أفدح الأخذ ما سلب .

وخرجت سوسن من الماء ، ووقفت على حافة الحوض تمرر يديها على جسمها وتنثنى لتمررهما على ساقيها . ونظر فؤاد حوله فى هلع .. كانت أنظار الرجال مصوبة إليها . وهرع إليها وهو حانق وقدم إليها الفوطة فأخذتها وجففت بها وجهها وذراعيها ، ثم ألقت بها على كتفيها وسارت إلى حيث كان الرفاق .

لم تجلس على مقعد بل استلقت على الأرض على وجهها ، وراحت تتحدث وهى ترفع ساقيها وتحركهما فى الهواء . ولم تستقر طويلا على وضعها بل التوت كأفعى وجلست وضمت ساقيها إلى صدرها ووضعت ذقنها على ركبتيها . وما لبثت أن نامت على جنبها وهى ترنو إلى عمر وتحدثه .

وتوترت أعصاب فؤاد وامتلأ صدره غيظا . وغامت عيناه بضباب الغضب ، وراودته فكرة أن يرفع الكرسى ليشج به رأسها

والتفتت أحلام إلى سهير وقالت :

ـــ سأمر عليك يوم الأحد لنذهب إلى السينما .

فقالت سهير فى صوت خافت :

ـــ إن شاء الله .

وقالت أحلام وهى تخاطب الجميع :

ـــ ما رأيكم فى أن نذهب كلنا إلى السينما يوم الأحد ؟

فقالت سوسن وهى تنهض فى دلال :

ـــ آسفة . سأذهب يوم الأحد لزيارة جاراتى اللاتى جئن إلىّ لتهنئتى ، لم أزر بعد واحدة منهن .

واختلست النظر إلى عينى عمر فرأت فيهما بريقا خاطفا ، ولمحته وهو يجول بعينيه فى مفاتنها ، فانصرفت إلى الكابينة تستشعر نشوة وسعادة ، فقد تيقنت أن أنبل أصدقاء زوجها يشتهيها !

١٨

وصل فؤاد إلى البيت وفى جوفه ثورة طاغية ، وفى كيانه تسرى رعدة ، وفى صدره عقدة تضيقه وتبهر أنفاسه ، وراح يخلع ثيابه وهو يزفر . وأخذت سوسن تخلع ثيابها وهى هادئة وسيطر الصمت على المكان .

ولسعت الغيرة روحه فلم يقو على كتمان النار المتلظية فى أحشائه ، فاستدار والتفت إلى سوسن وقال :

ـــ كدت أشج اليوم رأسك أمام الناس .

فالتفتت إليه دون وجل وقالت :

— لماذا ؟ ماذا فعلت ؟

— كنت أشبه بـ .. بامرأة تعرض جسدها على الملأ .

— فؤاد !

— كان المايوه فاضحا ، لا يستر منك شيئا .

فقالت فى عناد :

— إننى لم أفصله .. اشتريته هكذا .

قال وهو يغدو ويروح كوحش حبيس فى قفص :

— تفصد عرق الخجل منى لما خرجت من الماء ، ووقفت تجففين جسدك بيديك وتنثنين لتبرز فتنتك . كانت كل العيون تلتهمك .

فقالت فى غرور :

— وهل هذا ذنبى ؟ وهل كنت أستطيع أن أحول أنظارهم عنى ؟

— لو أنك خرجت إلى الكابينة رأسا كما فعلت أحلام ، لما أكلتك عيون الذئاب .

— وحتى إذا كنت انطلقت إلى الكابينة رأسا، ما كنت بمستطيعة أن أسدل الستائر على عيون الذئاب : هل تقرعنى لأننى جميلة ؟ لنفرض أنهم التهمونى بعيونهم فماذا أخذوا منى ؟

وضرب فخده بكف يده فى قوة وقال :

— ولن يأخذوا منك شيئا لو شاهدوك عارية !

فقالت وهى تدنو منه :

— إننى كنت مثل الأخريات ، ولكن أوهامك تصور لك أشياء .

— وهل استلقاؤك على بطنك ، واللعب برجليك فى الهواء أوهام ؟!

— وماذا فى ذلك ؟

فقال فى سخرية :

— لا شيء ، كنت مثالا للاحتشام .

فقالت فى انفعال :

— إننى لا أسمح لأحد أن يسخر منى .

قال فى ثورة :

— وأنا لا أسمح لأحد أن يعبث بى أمام الناس ، إننى رجل وما يجرى فى عروقى دم حار .

— إننى لا أعبث بك ولكنها غيرتك العمياء .

— إنها ليست غيرة عمياء ، ولكنها غيرة رجل ، تعرى منك اليوم ما لم أره من قبل وأنا زوجك ، كان نهبا لكل عين جائعة .

— إننى لم أطلب الذهاب إلى الحمام ، إنها رغبة أصدقائك ، لم أكن أريد أن أذهب ولكننى أرغمت نفسى على القبول حتى لا تغضب ، وحتى لا تتهمنى بأننى أكره أصدقاءك ، أكره من تحبهم .

— إننى لا أعاتبك على الذهاب إلى الحمام ، ولكننى عاتب على سلوكك فيه .

فقالت فى انفعال :

— قررت ألا أذهب معك إلى أى مكان ، مادمت لا تثق فى نفسك .

فقال فى حدة :

— إننى واثق من نفسى ، ولكننى لست واثقا ..

وكبح جماح لسانه واضطرب ، وانقضت عليه كوخش جريح ولطمته وهى تزمجر قائلة :

— نذل .

ولطمها فى قوة وهو يقول كأنما يلفظ قلبه :

— سافلة .

وهجمت عليه وأخذت تضرب صدره بقبضتيها ، وهو ثائر تدور فى رأسه فكرة تهشيمها ويستريح من الضنى الشديد الذى يكابده .

وخفت ضرباتها حتى تلاشت ، وألقت رأسها على صدره فى راحة ، ثم أجهشت بالبكاء .

وهدأت عاصفة نفسه ، وانتشرت فى جوانبه راحة عجيبة ، وراحت ينابيع الحنان تتفجر ، واحتواه ضعف حبيب يستكين له .

وفجرت القسوة اللذة فى أعماقها السحيقة ، فراحت تغمغم فى وله :

— بالله لا تقس علىّ .

ورفع يده وراح يمررها على شعرها الناعم فى حنان ، ولو درى حقيقة مشاعرها للف ذراعيه القويتين حولها وضمها إليه فى شدة ، حتى تئن عظامها من الألم .

وقالت فى صوت حالم :

— أحبك .. أحبك .

فتفتحت نفسه وانتشت روحه ، وراحت بلابل السعادة تشدو فى ثناياه !..

وأدارت نشوة لذيذة رأسه وقال :

— وما دليل هذا الحب ؟

ورفعت رأسها إليه وضغطت على ذراعيه بيدها فى قوة وقالت :

— أريد أن أقبلك ، وأن أظل أقبلك حتى أكتم أنفاسك .

ووقفت على أطراف أصابعها وقبلته قبلة خاطفة ، وما كانت تلك القبلة لتروى الظمأ الذى تحسه ، فلفت ذراعيها حول عنقه ، وجعلت تقبله وهى تبكى وتنتحب .

١٩

وقفت سوسن أمام المرآة تتزين ، تضع الأحمر على شفتيها فى مهارة وتصفف شعرها فى روعة ، وتتضمخ بأفخر ماعندها من عطور ، وظلت تديم النظر إلى ثوبها ، ثم راحت تفحص خط الجورب النيلون الخلفى ، حتى أطمأنت إلى استقامته وأنه فى وسط بطنى ساقيها تماما ، وعادت ترنو إلى صدرها الشامخ فى المرآة ، واطمأنت إلى أنوثتها الطاغية فغمزت لنفسها بعينها ، ثم سارت وكلها فتنة وإغراء .

وانطلقت إلى بيت عمر ، ووقفت ترقبه من بعيد وهى تتطلع إلى ساعتها بين الفينة والفينة . ورأت أحلام تخرج من البيت مسرعة ، فابتعدت عن طريقها واختفت . ولما تيقنت أنها ذهبت لتصحب سهير معها إلى السينما ، تقدمت فى خطو ثابت لتحقيق الفكرة التى عاشت معها منذ أول ليلة رأت فيها أحلام .

وتريثت أمام باب الشقة وراحت تعيد تنسيق هندامها ، وأخرجت من حقيبتها زجاجة العطر ، ومسحت غطاءها خلف أذنيها ومررته على الأخدود الغائر بين نهديها ، وتوجت شفتيها بسمة تعرف طريقها إلى مهج الرجال .

ووضعت يدها على زر الجرس ، ووقفت ثابتة لا تضطرب ولا تهاب شيئا وإن كانت تستشعر تلك النشوة التى يحسها المقبل على مغامرة ، وفتح الباب ، ولما وقعت عينا عمر عليها قال :

ــ أهلا وسهلا . تفضلى .

ونبت فى جوفه قلق خفيف ، وسرى فيه اضطراب وإن ملأت جوانبه فرحة ، وسار أمامها حتى غرفة الاستقبال .

وجلست ووضعت ساقا على ساق ، وجلس عمر صامتا برهة لا يدرى ماذا يقول ، وأرادت أن تنتشله من صمته فقالت :

ــ أين أحلام ؟

ــ خرجت لتذهب إلى السينما مع سهير .

فقالت سوسن وهى تضرب جبهتها بكفها :

ــ كيف نسيت هذا ؟ قالت لنا إنها ذاهبة يوم الأحد إلى السينما مع سهير !

ذهبت لزيارة جارتى ولكننى وجدت أنهم خرجوا ، قلت لنفسى أزور أحلام .

فقال عمر :

ــ أهلا وسهلا .

ونهض والتفت إلى سوسن وقال :

ــ عن إذنك .

فقالت له وهى تبتسم :

ــ بالله لا تتعب نفسك .

فقال وهو يضحك :

— ليس هناك تعب . سأقدم ما أجده ، وإذا لم أجد شيئا سأقدم اعتذارى .

وضحكت ضحكة ناعمة رقيقة وقالت :

— اختصر التعب وقدم اعتذارك .

وخرج يبحث عما يقدمه لها . وقامت تتلفت فى الغرفة ، ثم خرجت منها تتبختر ، ولحته وفى يده علبتان فيهما شراب وراح يبحث عن الفتاحة . فلما وجدها ثقب العلبتين وهم بأن يصب كلا منهما فى كأس .. فقالت :

— انتظر .

وأسرعت إليه ، وتناولت منه العلبة وقالت :

— لا داعى لصبها فى الكأس ، إنى أشتهى أن أشرب فى فضية العزاب .

وضحكت وقرعت علبتها فى علبته وقالت :

— فى صحتك .

فقال وهو يرنو إليها فى اشتهاء :

— فى صحتك .

وشربت ما فى العلبة ، وقال عمر فى اضطراب :

— ما رأيك فى كأس ؟ عندى زجاجة .

— لم أشرب بعد .

ونظر إليها من طرف عينه وقال :

— حقا ؟

قالت وهى تسير إلى جواره ليعودا إلى غرفة الاستقبال :

— شربت مرة واحدة .

فقال فى إغراء :

ـــ مادمت شربت مرة فلا مانع من أن تشربى مرة أخرى .

فقالت وهى تنظر إليه فى دلال :

ـــ إذا أصررت .

وجلست ، وذهب وعاد يحمل صينية عليها زجاجة وكأسان ، فوضعهما على نضد ، وملأ الكأسين ، وقدم إليها كأسا وتناول الأخرى . وعبت الكأس عبا ، وعمر يرمقها ، ووسوس فى نفسه صوت يقول :

ـــ قد تكون هذه كأسها الثانية بعد الألف .

قال لها عمر :

ـــ مع من شربت الكأس الأولى ؟

ـــ قد لا تصدق إذا قلت لك . مع أبى .

ـــ أبوك رجل ظريف .

فضحكت وقالت :

ـــ اتفضل .

وضحك عمر وراح يملأ كأسها مرة ثانية .

ورأت البوم الصور فتناولته وراحت تقلب صفحاته ، ووقفت عند صورة لعمر وهو صغير ، وقالت وهى تضحك :

ـــ فى عينيك شىء منذ الصغر .

وانتقل عمر إلى جوارها ومال ينظر إلى الصورة ، وقال فى خبث :

ـــ ماذا فى عينى ؟

فقالت فى إغراء :

ــ شيء يحس ولا يعبر عنه .

وراحت تقلب صور الألبوم وعمر إلى جوارها يملأ عبيرها أنفه فيتحرك الذئب الكامن فى نفسه ، وجعل يتطلع إلى ساقيها وإلى صدرها وإلى وجهها فاجتاحته رغبة جامحة .

وفكر فى أن ينهض ويبتعد ، ولكنه عجز عن تنفيذ الفكرة ، بل أحس أنه يزحف ليلتصق كتفه بكتفها .

وسرت فى بدنه نشوة ، ورانت على رأسه غيبوبة ، وانبثق فى جوفه قلق لذيذ مشتهى ، وغاب كل شيء عن وعيه إلا لذاته والأنثى الجميلة التى تشاركه مقعده .

والتفتت إليه ، والتقت عيناه بعينيها ، كانت فى العيون دعوة صارخة .. وهم بأن يحتويها بين ذراعيه ولكنه تردد ، أفزعه قلقه ودقات قلبه العنيفة المتتالية .

وعادت تقلب صور الألبوم ، وتركته لنفسه لحظة ليقضى على تردده ورهبته ، وليحطم حصون مقاومته كلها .

واستولت عليه الرغبة ، ولم يعد لحواسه الأخرى سلطان عليه .. كان متأهبا لتلبية أية دعوة منها ولو كانت نظرة منكسرة .

وتطلع إليها ولعابه يسيل ، وأدارت وجهها نحوه وقد تعمدت أن يلمس خدها شفتيه الملتهبتين ، ثم رنت إليه رنوة زلزلت كيانه وقالت فى صوت متهدج :

ــ يا شقى !

وانتهى كل شيء .

وخرجت سوسن من عنده وهى تحس نشوة الانتصار ، وكانت نشوتها عارمة لأن انتصارها كان مزدوجا . سلبت أحلام التى تمقتها زوجها وسخرت فى نفس الوقت من الصداقة النبيلة التى يتشدق بها زوجها .

وسارت وإذا بأمنية شاذة غريبة تطوف بها ، تمنت لو أن أحلام رأتها ، ولو أن فؤاد علم بما فعله أنبل أصدقائه .

ورن فى أذنيها صوت زوجها وهو يرتل « إن أخى هذا له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة » ورأته بعين خيالها ، وهو يمرر يده على منبت قرنيه ، فابتسمت ابتسامة عريضة ، وانداحت الراحة فى جوفها .

٣٠

كانت أحلام فى طريقها إلى سهير ، فالأيام توطد الصداقة بينهما وتقوى أواصرها ، وإن قلب أحلام يميل إلى سهير بينما يزداد على الأيام من سوسن نفوره . وتمنت لو أن فؤاد كان قد تزوج من سهير .

دفعتها شفقتها إلى أن تزور سهير أول مرة ، ولكن تلك الشفقة انقلبت حبا وتقديرا لما لمست طيبة سهير ورجاحة عقلها ، وفكرت فيما كانت تفعله هى لو أن أختها أو أن امرأة أخرى انتزعت منها خطيبها ، إنها كانت تحطم كل شىء ، وما كانت لتبقى على أخضر أو يابس أمامها أو خلفها .

عجيب أن تكون سوسن أخت سهير ، أن تكون الخفة والرعونة أخت الثبات والحكمة . ولكن لا عجب فى ذلك مادام الطيش تزوج الطيبة ، جاءت سوسن لأبيها ، وورثت سهير عن أمها خامتها الطيبة .

وفكرت أحلام فى أن تبحث لسهير عن زوج ينسيها حبها ، ويبدد بعطفه الظلام الذى ران على روحها ، ويبعث فى نفسها الأمل . إنها تعيش الآن فى قوقعة ذاتها ، وإن انطواءها هذا يوردها موارد البوار . فما أقسى أن ترعى النار فى الحشا والفم مطبق ، والعين جامدة .

ودهشت أحلام للفكرة التى تدسست إلى رأسها ، كيف فكرت فى أن تبحث لسهير عن زوج ، وهى التى لا تؤمن بأن حياة سعيدة يمكن أن تبنى إذا وضعت يد امرأة فى يد رجل فجأة ليسيرا معا فى سبل الحياة الطويلة الشاقة القاسية !

ما انسلت الفكرة إليها إلا لما وجدت أن الحب قد أخفق فى تأدية رسالته .

وساءها أن تتهم الحب بالإخفاق ، فراحت تتهم فؤاد بأنه هو الذى أخفق فى أن يؤدى رسالة المحب الصادق . فمن عرف حقيقة الحب لا يتخلى عمن يحب هكذا فى يسر . إنها تحب عمر ، وقد امتزج حبها إياه بدمائها ، وإن هذا الحب لا يمكن أن تعصف به العواصف أو تقتلعه الأعاصير . إنه أقوى من الزمن وأثبت قدما من كل الأحداث وسيظل شامخا لا يتزعزع .

وتدفقت دماؤها حارة فى عروقها وغمرتها نشوة وراحت تستأنف تفكيرها : إن خير ما تفعله لسهير أن تدعوها لمجتمعات فيها شبان يصلحون لها ، فقربها منهم سيحرك القلب الهاجع ، إنه البلسم الذى يأسو الجراح ، فإذا ما عاد الفؤاد يخفق بالحب مرة أخرى فما أشهى أن تضع يدها فى يد من أعاد لمهجتها الحياة .

وتحمست للفكرة وعزمت على إنفاذها ، ورأت أن تمهد لها فى مقابلتها لسهير . فما أسرع أن تتحمس أحلام لفكرة ، وما أسرع أن تتخلى عنها إذا ما قامت فى سبيلها عقبة .

والتقت أحلام وسهير وتعانقتا فى حب ، ووقفت الأم تنظر وقد هزت المحبة عواطفها حتى كادت دمعة تفر من عينيها . كانت تشتهى من كل قلبها أن ترى سوسن وسهير متعانقتين متحابتين كما ترى سهير وأحلام الآن ، ولكن زمنها بخل أن يجود عليها بما يجود به على كل الناس .

وصافحت الأم أحلام وقالت لها فى ود :

ـــ والله يا بنتى أصبحت معزتك فى قلبى كمعزتى لسوسن وسهير ، صرت بنتى الثالثة .

فقالت أحلام فى انفعال :

ـــ أشكرك . هذا هو شعورى ، إننى فقدت أمى وأنا صغيرة ، ولكن عوضنى الله بك خيرا .

وصمتت قليلا ثم قالت وهى تضحك فى مرح :

ـــ أصبح لى أمان : أنت وعمر .

ورفعت الأم وجهها إلى السماء وقالت :

ـــ يا رب استرهما ومتعهما بشبابهما وأبعد عنهما أولاد الحرام .

ورحن يتجاذبن أطراف أحاديث متشبعة . ورأت الأم أن تترك أحلام وسهير وحدهما لتتحدثا فى حرية ، فقامت وانصرفت لتعد ما تقدمه لأحلام ، وقد تعمدت أن يطول غيابها . كانت بغريزتها تعلم أن الشباب يحب أن يتحدث بعيدا عن أعين الرقباء .

والتفتت أحلام إلى سهير وقالت :

— سوسن وفؤاد مدعوان عندنا بعد غد ، وجئت أدعوك لتشاركينا السهرة ، وسيشترك معنا بعض أصدقاء عمر .

لم تكن هناك دعوة بعد ، كانت هذه الدعوة من وحى الساعة رأت أن تبدأ فى تنفيذ ما رسمه خيالها ، أن تضع سهير مع بعض الشبان فى بوتقة ، وتشعل النار . فمن تتفاعل معه سهير يتزوجها وتتزوجه ، وأطرقت سهير وقالت :

— لا أستطيع .

فاتسعت عينا أحلام وقالت :

— لماذا ؟

فقالت سهير فى صوت خافت مشحون بالأسى :

— قررت أن أبتعد عن طريق فؤاد وسوسن .

فقالت أحلام وهى تدنو منها :

— إنى لا أفهمك ، ألم تقولى لى بأنك عزمت بعد تفكير أن تندمجى فى حياتهما كأن لم يكن بينك وبين فؤاد شىء ؟

فقالت سهير فى مرارة :

— رأيت بعقلى ألا أمل فى حبى الذى مات ، وأن علىّ أن أدفنه فى أغوارى ، وأن أسدل عليه ستار النسيان ، وأن أنظر إلى فؤاد على أنه زوج أختى لا أكثر من هذا . ووطنت النفس على أن أجابه واقعى .. وقد فعلت . ذهبت إليهما فى دارهما ، خرجت معهما ، قابلتهما هنا فى دارنا ، قاسيت كثيرا .. تعذبت كثيرا .. قاومت كثيرا .. وبكيت فى حرقة فى سكون الليل حتى تقطعت نياط قلبى وتصدعت كبدى وتمزقت أحشائى .

تيقنت أن ما قرره عقلى إن هو إلا خدعة كبيرة .. كيف للعقول أن تقرر ما دامت ليس لها على الأفئدة سلطان ؟!

إن رؤية فؤاد تجدد أشجانى ، تنكأ جروح نفسى ، تشعل أوار حبى ، تزيد خفقات قلبى ، تجعل الدماء الحارة تتدفق فى عروقى ، تفجر ينابيع الحنان بين جنباتى ، تثير كل مشاعرى .

الويل لى ، لا أزل أحبه على الرغم مما كان ، وعلى الرغم من أننى على يقين من أن هذا الحب لم يعد له مكان . قلبى يخفق بلا أمل ولكننى عاجزة عن أن أحول بينه وبين الخفقان . وروحى تهفو إليه .. كالفراشة التى تحوم حول النار ، ولا تكف حتى تحترق .

إننى احتقر نفسى كلما فكرت فى سلوكى ، وياطالما عنفتها أشد التعنيف وقرعتها فى قسوة .. ولكن دون جدوى . سلبت إرادتى ، وطغت على مشاعرى الثائرة كبركان .

حتى أحلامى تآمرت علىّ ، ما من ليلة تمر دون أحلام ، فأهب مذعورة لأطرد طيفه الزائر ، وقلبى يدق ، وخوفى متحفز ، وحلقى جاف . إننى أدفن وجهى فى كفى وأبكى أحر بكاء .. آه لو وقع فى خلد سوسن ما أراه فى الأحلام . إننى أخجل من نفسى ، وأنتفض كلما فكرت فيما يراودنى فى المنام .

وصمتت سهير قليلا ثم قالت :

ــ لا بد أن أفر .. أن أبتعد عن النار .

فقالت أحلام فى أسى :

ــ وأين المفر ؟

قالت سهير وهى شاردة :

ـــ سأتجنب لقاءهما .. سأتحاشى رؤيتهما .. سأصم أذنى عن كل أخبارهما .. سأقيم بينى وبينهما سدا من الجفاء .

والتقطت أنفاسها ثم قالت :

ـــ أتذكرين يوم ذهبنا معا إلى حلوان ، كنت أنظر والنار ترعى فى جوفى ، والغيرة تنهش صدرى ، والضيق يكتم بيده البشعة أنفاسى ، وأغشية صفراء من الكراهية راحت تنسدل على عينى غشاء إثر غشاء .

قست علىّ مشاعرى ، وأرهقتنى آلام نفسى المبرحة ، وكاد احتمالى يتصدع وينهار ، وكدت أصرخ وأولول وأمزق شعرى لولا بقية من كبرياء.

وجاءوا إلى هنا يوما ، ورحبت بهما وشاركتهما الحديث ، وابتسمت وضحكت وقهقهت بينما كان قلبى ينفطر وينزف دما .

حرام أن أرغم نفسى على أن تستقر فى السعير ، حرام أن أتكلف ما لا أستطيع وما ينوء عن حمله بشر .

وقالت وقد اتسعت عيناها ، ولاح فى وجهها عزم أكيد :

ـــ سأسافر .. سأبتعد .. سأنأى بنفسى ..

وقالت أحلام فى إشفاق :

ـــ إننى فى حيرة من أمرنا ، نفكر ونمعن الفكر ثم نقرر أن ما اهتدينا إليه هو عين الصواب . وما نلبث أن نعاود التفكير لنقرر أن ما حسبناه صوابا كان سرابا ..

وصمتت برهة ثم قالت متسائلة :

ـــ هل هناك صواب لا يعرف الخطأ ؟

ولم تنتظر جوابا بل هزت كتفها وهى شاردة .

ـــ إنى فى حيرة .

٢١

كانت سوسن جالسة فى المترو منتشية ، فنظرات الشباب والرجال التى تسدد إليها فى جرأة وفى استحياء ومن تحت النظارات ومن زوايا العيون ، تدغدغ حواسها وترضى غرورها ، وما كانت تحاول أن تستر ذلك الشريط المكشوف من فخذها الذى تعرى لما وضعت ساقا على ساق .

ضبطت أكثر من نظرة متسللة تحت ثوبها ، ولم تبد أية نأمة استياء ، ولم تحاول أن تصد النظرات المختلسة ، بل كانت النظرات الجائعة والعيون التى تكاد تفر من محاجرها تملؤها غبطة ، وتبعث فى حناياها خدرا لذيذا يسعدها .

ولم تفكر فى المغامرة التى كانت مقدمة عليها ، فهى تعيش حياتها لحظة لحظة ، تحاول أن تمتص غاية ما تستطيع امتصاصه من اللذة فى كل دقيقة ، وما كانت تعيش كثيرا فى خيالها ، فالمغامرة القادمة تستطيع أن تنتظرها دون لهفة . وقد عاونها على ذلك تعدد منابع لذتها ، فهى تجد فى القسوة لذة ، وفى حرمان الناس من أشيائهم لذة ، وفى نظرات الإعجاب لذة ، وفى كلمات الغزل لذة ، وفى الألم لذة ، وفى إيلام الناس لذة .

وقبل أن يصل المترو إلى محطته النهائية قرب الإسعاف نهضت وأخذت تصلح هندامها ، وأخرجت مرآة صغيرة من حقيبة يدها ونظرت فيها ، وأعادت بعض شعرات نافرة إلى مكانها ، ومسحت بطرف إصبعها نهاية الأحمر الذى طليت به شفتاها ، ثم سارت بين الصفوف تعرض جمال تكوينها .

وملأ عبيرها الأنوف فرفعت الرءوس ، حتى النساء كن يتطلعن إليها وفى صدورهن غيرة . ووقفت أمام باب المترو وقد أرخت ساقا ووضعت ذراعا على الحاجز القريب من باب المترو ، فازدادت أردافها استدارة وبروزا .

ووقف المترو وتمهل الركاب ينتظرون هبوطها ، ونزلت فى رشاقة ووقفت على الرصيف تتلفت ، فرأت عمر ينتظرها فى السيارة التى حملتهم إلى حلوان ، فانسابت إليه وركبت إلى جواره .

وانطلق عمر فى طريق القلعة يسابق الريح ، فقالت له سوسن :

ـــ حذار أن تحطم السيارة .

فالتفت إليها وقد تمهل قليلا وقال :

ـــ ونحن ؟

فقالت وهى تبتسم :

ـــ جروحنا ستلتئم دون مصاريف .

فزاد فى سرعة السيارة ، وقالت فى خوف :

ـــ بالله تمهل .

ـــ أنا مسئول عن السيارة .

ـــ هل صدقت ؟ كنت أمزح ، لو خيرت بين أن يفنى العالم أو يخدش لى إصبع لما ترددت فى الاختيار .

فرنا إليها فى خبث وقال :

ـــ ستختارين أن يخدش إصبعك طبعا .

فقالت فى زهو :

ـــ أبدا . سأختار أن يفنى العالم .

— وتفنين معه ؟

— على شرط أن أبقى أنا .

كان الوقت ساعة الغروب ، ولاحت القلعة رائعة بمآذنها السامقة التى كانت تطعن كبد السماء . وانطلقت السيارة فى طريق المقطم ، وأنوار الحوانيت تضاء ومصابيح الشوارع ناعسة ، فضوء النهار المدبر لا يزال يبهرها .

والتفتت سوسن إلى عمر وقالت :

— الظاهر أن صديقك وهب سيارته للشيطان .

— إنه رجل كريم يضعها فى خدمة الأصدقاء .

فقالت وهى تضحك .

— وهل هناك فرق بين الشياطين والصّحاب ؟

ووخزه قولها ، فصمت ، وتظاهر أنه شغل عنها بالطريق ، وما كانت تنتظر منه أن يجيب . يكفيها أنها أحست أنها آلمته لتسعد ، وقالت :

— لو كان لهذه السيارة لسان لروت أمتع القصص ، سأكتب لأحد الكتاب أقترح عليه أن يكتب « مذكرات سيارة » .

فقال فى صوت مضطرب :

— لو كان لهذه السيارة لسان لخربت بيوت كثيرة عامرة .

وبلغا قمة المقطم ، وتركا السيارة وراحا يتقدمان صوب الكازينو . كانت الأنوار تتألق ، والهواء يهب رخاء ، والقاهرة راقدة عند أقدام الجبل كأنها قطع من الماس ألقيت على رداء أسود .

وسلطت الأضواء الحمراء والخضراء على صخور الجبل ، فكان للمكان سحر يحرك الخيال ، وتلفت عمر واختار منضدة فى ركن منعزل بعيد عن الأنظار .

وجلسا وعمر يتلفت فى حذر ، وضايقها تلفته فقالت ساخرة :

ـــ كأنما تخشى أن ينقض عليك الجبل .

ـــ أخشى أن يرانا أحد هنا معا .

فضحكت وقالت :

ـــ فؤاد لا يعرف هنا ولا أظن أنه سمع بهذا المكان ، ولو أراد أن يأتى لضل الطريق . وما أحسب أن أبى يضيع وقته ليجلس جلسة شاعرية .. أما أحلام فما الذى يأتى بها إلى هنا ، إلا إذا حملها شيطان .

وضحكت فى مرح . واربد وجهه وأحس أن طعنة سددت إلى قلبه . ساءه أن يذكر اسم زوجته على لسانها فى زراية وأن تعرض بها فى بساطة ، فاحمرت أذناه . وفطنت إلى ما يكابده ، فانتشرت النشوة فى أرجائها .

وظل صامتا برهة وهو يقاوم الانفعالات التى ثارت فى جوفه ، حتى إذا هدأت نفسه قال :

ـــ أفضل أن نترك هذا المكان بعد أن نشرب شيئا .

ـــ لماذا ؟

ـــ إنه مكان مزدحم وقد يرانا من يعرفنا .

ـــ وأين نذهب ؟

ـــ إلى شقة هادئة ليس فيها أحد .

فقالت فى انفعال :

ـــ قلت لك أكثر من مرة لن نختلى إلا عندك .

فراح يرمقها فى دهش وقال :

ـــ لا أدرى سببا لهذا الإصرار .

فقالت وهى تلقى برأسها إلى الخلف :

— مزاج .

ولاذ بالصمت برهة ، ولاح فى وجهه ضيق ، فقالت له :

— ما الذى يشغلك ؟

— أفكر فيما يحدث لو فاجأتنا يوما أحلام ؟

فقالت وهى تبتسم فى استخفاف :

— زوجتك سيدة غارقة فى شهامتها ، إنها مشغولة عنا برعاية سهير وهدهدتها .

فقال فى قلق :

— أخشى أحلام ..

فقاطعته قائلة :

— أقول لك الصدق إنى لا أخشاها وإن كنت أكرهها .

— وإذا رأتنا ؟

فقالت فى استخفاف :

— تمنيت يوما أن ترانا معا .

فقال فى فزع :

— أنت قاسية .. شاذة .

فقالت فى انشراح :

— هكذا أنا .

وأراد أن يضايقها كما ضايقته ، فقال :

— وفؤاد ؟

— إنه طفل كبير ، أصبح يحبنى ، لا يطيق بعدى .

— وإذا رآنا معا .

— سأقنعه أنه لم ير شيئا ، أصبح كهذا الخاتم الذى فى أصبعى أحركه كما أشاء .

وراحت تحرك خاتم الزواج فى نشوة ، وانبعث فى جوفه قلق ، وساد الصمت برهة ثم قالت :

— آه لو رآنا فؤاد ونحن فى بيتك .

فقال فى فزع :

— أهذه أمنية ؟

— أمنية غالية تستحق ما يراق على جوانبها من دماء .

فقال وهو حائر يضايقه مزاحها الثقيل :

— لماذا ؟

وغمزت بعينها وقالت :

— ليرى الغر أنبل أصدقائه عاريا ، بلا أقنعة ولا رتوش .

وتقاصرت نفسه وتضاءل ، وانتشر الأسى فى جوفه وجف حلقه ، واضطرب وارتجف وارتبك ولكنه عجز عن أن يثور ، وقال وقد طأطأ رأسه وراح يعترف :

— ما أكثر ما هب ضميرى يؤنبنى ، وما أكثر ما قررت أن أفر منك ، أن أنتشل نفسى من المستنقع الآسن البغيض الذى ترديت فيه ، ولكنى أصممت أذنى عن صوت ضميرى ، عجزت عن أن أفر ، لم أعد أستطيع البعد عنك .. كل خلجة فى تحن إليك وتشتهيك ، أحبك وأحبك وأحبك و ..

وراح يبوح لها بمكنون صدره ، وهو يئن ويفح ويتألم وهى تصغى إليه وقد انداحت فى أغوارها نشوة عارمة ، وكانت لكلماته الحزينة اليائسة الضعيفة المتخاذلة فى نفسها وقع الأهازيج .

٢٢

عاد فؤاد ذات ليلة إلى داره فألفى الشقة غارقة فى الظلام فدهش . لم تقل له سوسن إنها خارجة ، وقد أشرفت الساعة على العاشرة مساء ، وما كان من عادتها أن تمكث عند جاراتها حتى ذلك الوقت من المساء .

ووضع المفتاح فى الباب وأضاء النور ، وجلس ينتظرها وهو قلق حانق ، وزاد فى قلقه وساوسه التى راحت تتضخم فى أعماقه وتخز روحه وخزا قاسيا زلزل كيانه .

وراح يغدو فى الغرفات وهو قلق منزعج ، ولم يحتمل الوسوسات المسمومة التى تطن فى أذنيه ففر إلى الطريق يتلفت فى ثورة وانفعال وخطر له أن يطرق أبواب الجيران يسأل عنها ، ولكنه وأد ذلك الخاطر وهو يتمزق غيظا ، تكاد الدمعة تفر من عينيه .

وانطلق كالمحموم ومطارق هائلة تدق رأسه ، والشك يكاد يقضى عليه ، والدم الحار يكاد ينبثق من أنفه ، والأرض تدور به ، والظلام الثقيل الذى يعيش فيه يكاد يكتم أنفاسه .

وألفى نفسه أمام بيت أبيها فراح يصعد فى الدرج قفزا ، وفتحت الأم له الباب فسألها فى لهفة :

— هل سوسن هنا ؟

فخفق قلب الأم رهبة وقالت :

— لم نرها اليوم .

فقال فى انفعال :

— خرجت ولم تعد حتى الآن .

فقالت الأم لتهدئ ثورته ، وإن كان القلق راح يمور بين حناياها :

— لعلها عند الجيران .

فقال ليطمئن نفسه ويسكن الثورة الهائجة فى صدره :

— لعلها عند الجيران .

ودار على عقبيه وهم بالانصراف ، وقالت له الأم :

— تفضل .. استرح .

— شكرا .

وهبط فى السلم قفزا ، وقطع الطريق وهو يهرول كالمحموم ، تضغط تصوراته البشعة على رأسه ضغطا قاسيا ، فيشهق ويزفر فى صوت مسموع ، ويرتفع صدره وينخفض ككير حداد .

ووصل الدار ودخل شقته ، ولم يجدها فدار فى الحجرات كثور هائج يضرب الهواء بقبضته ، يمرر يده على جبهته فى قسوة ليمسح الخيالات البغيضة التى احتلت رأسه ، ومزقت كبرياءه ، ومرغت شرفه فى الرغام .

وارتمى فى مقعد قريب وهو يصرف أنيابه ويكاد يبكى غيظا ، وزاد فى حنقه ذلك العجز الذى يكبله ، والسكون المريب الذى يطوى البركان الثائر فى كيانه . ومس أذنيه صوت مفتاح يوضع فى الباب فأرهفت حواسه ، واندلعت ألسنة الثورة فى نفسه ، وهب واقفا وصدره فى علو وانخفاض وراح يجمع شتات نفسه ويتحفز للقاء .

ودخلت سوسن ، ولمحته وهو واقف وقد كشر انيابه فلم ترتجف ، ولم تسر فى بدنها رعدة ، بل رفعت يدها إلى رأسها تحية وقالت :

— مساء الخير .

ولم يرد على تحيتها بل قال فى غضب :

— أين كنت ؟

ولم يدق قلبها ولم تنفعل ، وقالت فى هدوء :

— عند الجيران .

فقال فى إنكار :

— حتى هذه الساعة ؟!

فقالت فى نبرات ساخرة :

— اذهب وسلهم إن كنت لا تصدقنى .

ولم تهدأ ثورته فقال فى غضب :

— لم أعد أطيق هذا العبث ، خروج دون إذن ، غياب عن البيت هذا أمر لا يحتمل .

وقررت أن تلقنه درسا ، أن تزعزع كيانه ، أن تفصله عن شخصيته ، وأن تذل كبرياءه ، أن تمرغ أنفه فى التراب ، ألا تقوم له قائمة بعد الليلة أبدا ، وأن يصبح أطوع لها من بنانها ، فقالت فى ثورة مفتعلة :

— حتام سأحتمل نزواتك وغيرتك العمياء ؟ إذا خرجت أكلتك الغيرة ، وإذا غبت عند الجيران قليلا نهشتك الغيرة ، وإذا حادثت هذا أو ذاك قتلتك الغيرة . نظراتك كلها شك . إننى لا أستطيع أن أعيش مع رجل لا يثق بى ، ماذا تحسبنى ؟ أتظننى من بنات الهوى لأنك غررت بى ؟

ودارت به الأرض وعصفت به الانفعالات ، وأحس كأن لطمات هائلة تهوى على وجهه ، وطعنات مسمومة تسدد إلى قلبه ، وأن جميع

مشاعر الثورة والحقد والمقت والغضب انطلقت فى أغواره بلا ضابط ، وأن أغشية كثيفة أسدلت على عينيه ، وتعطل تفكيره وغرق فى الهوان . وتأججت النيران فى كيانه كله ، فقال وكأنما يلقى بقذيفة من صدره :

ـــ يا سافلة .. يا فاجرة .

وتحرك فى ثورته ليبطش بها ، ولكنها لم تقف فى طريقه متحدية ، بل انفلتت منه . ولم تكن فى حاجة إلى قسوة لتدغدغ مشاعرها التى لا يوقظها إلا الألم ، كانت قد عبت الكأس كلها قبل حضورها حتى ارتوت .. إنها فى حاجة إلى إذلاله وكسر كبريائه وتقليم أظافره ، وقالت وهى منطلقة إلى غرفتها كالعاصفة :

ـــ والله لن يجمع بينى وبينك سقف واحد بعد الآن .

ووقف يئن ويتلوى من العذاب ، متوتر الأعصاب مبهور النفس ، وراح الوقت يمر وسوسن فى غرفتها تجمع حوائجها وتضعها فى حقيبة لتتأهب لمغادرة الدار ، وهو واقف صامت لا يتحرك .

وبدأت ثورته تنقشع وراحت مشاعره تهدأ ، وعاد نفسه للانتظام وأخذ فكره يعمل فلم يرتح لفكرة الخصام .

وراودته فكرة أن يذهب إليها وأن يثنيها عن عزمها فهو يمقت أن تخرج أسرار بيته إلى الناس ، وأن يقال إنه أغضب زوجته حتى أرغمها على الذهاب إلى أهلها . لكن بقية من كبرياء هبت فى وجه الفكرة المتخاذلة وأعلنت راية العصيان .

ووقف حائرا يترجح بين ضعفه وكبريائه ، وانبثق ضيق فى جوفه راح يغريه على أن يتحرك وأن يتقدم ، وأن يضمها إليه ويمسح بشفتيه آثار الثورة العارمة التى عصفت بهما ، وإذا بصوتها يرن فى ضميره يردد ماذا

تحسبنى ؟ أتظننى من بنات الهوى لأنك غررت بى .. لأنك غررت بى .. وعاد رأسه يدور ويضيق صدره .

وحملت سوسن حقيبتها ومرت من أمامه دون أن تلتفت إليه أو تنبس بكلمة ، وطفق ينظر إليها وبين ضلوعه مشاعر غريبة متباينة . كان يحس شفقة ويحس قسوة ، يريد أن يحول بينها وبين الخروج ، ويريد أن يضربها وأن يقذف بحقيبتها بعيدا .. أن يضع شفتيه على شفتيها ، وأن تدفن وجهها فى صدره .. أن يلوى ذراعها ، وأن يجذبها من شعرها حتى تخر ساجدة عند قدميه .

وغابت سوسن عن عينيه وأغلقت الباب خلفها فى عنف ، فانهار على أول مقعد قابله ، ودفن وجهه فى كفيه وهو مشتت الفكر ليس له قرار .

٢٣

كانت سوسن فى بيت أبيها هادئة مطمئنة ، تتحدث وتضحك وتسخر من أمها التى كانت قلقة من عدم حضور فؤاد ليحمل زوجته إلى داره بعد أن يعاتبها ، كانت كأنما تلعب لعبة واثقة من نتيجتها .

وكانت سهير تحس ضيقا ، كانت فى قرارة نفسها تتمنى أن تسعد أختها فؤاد ، وأن تواسيه وأن تهيىء له حياة مستقرة ، لا يشقى فيها ، وإذا بسوسن تخاصمه ، ولا تكتفى بالخصام بل تؤذى كرامته ، وتترك له البيت وتخلفه وراءها وحده للحزن والأشجان .

وراحت تفكر فيه وتحاول أن تستشف مشاعره ، فاستشعرت ضيقا وقلقا وشجنا وهوانا ، فخفق قلبها فى شدة ، واضطربت روحها وانبثقت

رقة حزينة فى حناياها واستولت عليها رغبة أن تحادث أختها وأن تعيد إليها عقلها .

كانت سهير واثقة من قسوة سوسن ، ويا طالما اكتوت بنارها ، كانت قررت مذ عادت أختها من بيت زوجها ألا تحادثها فى هذا الموضوع حتى لا تثير متاعب جديدة ، ولكنها بعد أن فكرت اهتدت أن عتابها لسوسن قد يعيد عقل أختها إلى رأسها ، ويجنب فؤاد مواقف قاسية حرجة .. وتقدمت تحادث سوسن ، ووطنت النفس على أن تتحمل قسوتها من أجله .

قالت سهير فى رقة :

ـــ لماذا تركت دارك ؟

والتفتت سوسن إلى أختها ، وراحت تتفرسها فى ريبة وقالت فى استخفاف :

ـــ ليفهم أننى لست مقطوعة من شجرة ، وأن لى بيتا يؤوينى ويحمينى من ثوراته الصبيانية .

ودنت سهير منها وقالت فى توسل :

ـــ بالله عودى إلى زوجك .

فقالت سوسن فى استغراب :

ـــ أأعود إليه كالكلبة دون أن يأتى صاغرا ليأخذنى ؟!

وتضايقت سهير ، وخزتها كلماتها النابية الجافة ، لكنها كبحت زمام عواطفها وقالت :

ـــ عودى إليه .. أنا واثقة أنه فى انتظارك .

ـــ أأعود إليه وحدى ؟

ـــ عودى إليه وحدك كما جئت وحدك ، هذا فى رأيى أضمن لسعادتكما .

وضايق سوسن تدخل سهير فى شئونها ومحاولتها تحطيم تدبيرها ، فقالت وهى تضحك فى سخرية وتميل برأسها إلى الخلف :

ـــ أيهمك أمر سعادتنا ؟!

فانقبض صدر سهير ، وقالت ؟!

ـــ أتشكين فى هذا ؟

فقالت سوسن فى نبرات هازئة :

ـــ كنت أظن أن شجارنا يسعدك .

فقالت سهير فى اضطراب ودهش :

ـــ يسعدنى أنا ؟ لماذا ؟

فضحكت سوسن ضحكة ساخرة ، أحست سهير وقعها فى قلبها كخنجر ، وقالت :

ـــ هذا الشجار يقرب أملك ، أملك فى أن يطلقنى ويتزوجك .

ودارت الأرض بسهير ، وثارت مشاعرها ثورة عارمة ، وانفجر مرجل غضبها فقالت فى حنق :

ـــ سافلة .

وهمت بأن تنفض عليها تنفس عن صدرها الحانق وتنتقم لكبريائها المجروحة ، ولكنها كبتت عواطفها وقالت فى غيظ :

ـــ لولا أننى لا أحب أن تمتد يدى إليك بعد أن تزوجت للطمتك .

ولاح الانفعال فى وجه سهير ، وأحست سوسن لذة ، وشاءت أن تربو لذتها وأن تزيد استمتاعها فقالت :

— أحب أن أقول لك إن زوجى أصبح يعبدنى ، لا يستطيع أن يعيش بدونى ، لم يعد يحب أحدا غيرى أنا ..

ودارت الأرض بسهير ، أحست كأن جلادا قاسيا يهوى عليها بسياطه فى تتابع دون أن يترك لها فسحة تلتقط فيها أنفاسها ، وأن سهاما مسمومة تسدد إلى فؤادها ، وأن ماء مغلى يصب فوق رأسها ، وأن نارا أشعلت فى حناياها . وخشيت أن تنهار ، أو يفلت منها زمام عواطفها فتجهش بالبكاء ، فراحت تغادر المكان وفى وجهها أسى وفى جوفها فزع وهلع وأنين .

وابتسمت سوسن راضية ، ورنت فى أعماقها قهقهقات عالية سعيدة معربدة ، فقد انتصرت على سهير فى المعركة وداستها بالأقدام .

واتجهت سوسن إلى الوراء وهى تدندن ، وراحت تصلح زينتها ، ولما اطمأنت إلى روعتها غمزت لخيالها ورفت على شفتيها بسمة .

وأقبلت أمها وقالت فى قلق :

— لم يأت فؤاد بعد .

فقالت سوسن فى هدوء :

— لن يأتى اليوم .

فقالت الأم وقد نفد صبرها :

— ومتى يأتى ؟

فقالت سوسن فى ثقة :

— غدا الساعة التاسعة .

والتفتت الأم إليها فى دهش وقالت :

— ومن أين عرفت ؟ ومن قال لك ؟

فقالت وهى تبتسم :

ــ أنا واثقة .

فقالت الأم فى ضيق :

ــ حلمت ؟ قرأتِ الفنجان ؟ قرأتِ الطالع ؟

فقالت سوسن وهى تضحك فى مرح لحيرة أمها :

ــ قرأت قلب فؤاد .

فقالت الأم وهى تتحرك لمغادرتها يائسة :

ــ والله فؤاد معذور معك .

وهتفت سوسن :

ــ ماما !

والتفتت الأم وقالت فى حب :

ــ عين ماما .

ــ قولى لبابا لا يخرج غدا .. ينتظر فؤاد .

فهزت الأم كتفيها فى حيرة ، وسارت وسوسن ترنو إليها مغتبطة .
ومر الوقت وأقبل الليل ، وجاءت أحلام لتخرج مع سهير ، فلما رأتها الأم أحست راحة ، رأت فيها الصديقة التى ستعيد سوسن إلى بيتها .

والتفتت الأم إلى أحلام وقالت فى صوت خافت :

ــ والله سوسن هنا . غضبانة .

فقالت أحلام فى إنكار :

ــ غضبانة ؟

قالت الأم لتوحى إليها بما تفعله :

— حاولت أن ألين رأسها دون جدوى ، قلت لها عودى لزوجك ولكنها أبت .

— لا . وهل لنا إلا بيوتنا ؟ سآخذها من يدها وأعود بها إلى بيتها .

وخفق قلب الأم ، وأحست سعادة ، ولكنها لم تقو على زعزعة القلق المنتشر فى صدرها ، وقامت تتعجل الأمر ، وذهبت تنادى سوسن .

دخلت الأم على ابنتها وقالت فى صوت ينم عن الغبطة :

— أحلام هنا .

فقالت سوسن دون اكتراث :

— سأقابلها .

— هيا .

ورمقت أمها بطرف عينها ، ثم قامت فى بطء وسارت تتهادى . ورأتها أحلام فقامت إليها ترحب بها وقالت :

— آسفة . لم أكن أعرف . قالت لى ماما الآن .

وصمتت سوسن ولم تنبس بكلمة ، وجلست بالقرب من سهير التى أطبقت فمها وأسبلت جفنيها على عينيها وتحرك قلقها . كانت تخشى أن تطعن سوسن أحلام دون أن ترحمها . وقالت أحلام فى رقة :

— ليس لنا غير بيوتنا ، وحتى إذا غضبنا لا ينبغى أن نتركها .

وصمتت قليلا ثم قالت وهى تبتسم :

— البيوت بيوتنا وليست بيوت الرجال ، فإذا وقع بين الزوجين جفوة وكان لا بد أن يغادر أحدهما البيت حتى تهدأ العاصفة ، فعلى الرجل أن يتركه لا المرأة .

وأقنع قولها الأم ، وسخرت سوسن منه فى أعماقها ، واختلست سهير نظرة سريعة سددتها إلى وجه أختها فربما قلقها ، وودت لو تطلب من أحلام أن تنأى بنفسها وتبتعد من طريق سوسن ، ولكن أحلام قالت لسوسن :

ـــ قومى .. قومى نعود معا .

فقالت سوسن فى خشونة :

ـــ هذا أمر بينى وبين فؤاد ، ولا أحب أن يتدخل بيننا أحد .

وكأنما ألقيت قذيفة اهتزت لها النفوس ، وتطايرت الأم وأحلام وسهير أشلاء . ثم ساد صمت عميق لا يعكره أنين الجرحى ، فقد كانت القذيفة قاضية . ومرت لحظات خالها الجميع دهرا ، ثم نهضت سهير وأشارت إلى أحلام أن هيا ، فقامت أحلام وانسحبت دون أن تنبس بكلمة ، وسوسن تتبعها بنظراتها الحاقدة . وبقيت الأم وسوسن وراحت الأم تجمع أطراف شجاعتها لتعاتب ابنتها ، ولكن سوسن قامت مسرعة لتنفيذ الفكرة التى التمعت فى رأسها . فارتدت ثيابها على عجل وتحركت لتخرج ، فرمقتها أمها فى دهش وقالت :

ـــ إلى أين ؟

ـــ ذاهبة لزيارة إحدى صديقاتى .

ـــ وإذا جاء زوجك ماذا أقول له ؟

فقالت وهى تغادر البيت :

ـــ قلت لك إنه سيأتى غدا فى الساعة التاسعة .

وانسلت كالأفعى لتنطلق إلى عمر ، لتسخر من أحلام وتنتقم منها وتسلبها بيتها .

٢٤

نظر فؤاد إلى فراشه الذى تكوم فيه الغطاء ، وتهدلت وسائده ، وضربت الفوضى فى أطنابه ، فأحس ضيقا ، وراح يدور بعينيه فى الغرفة التى تبدل تنسيقها فزاد اضطرابه وشعر بفراغ كبير فى حياته ، فتناول كتابا وأخذ يقرأ فيه وما أسرع ما تسرب إليه الملل فرماه وألقى بنفسه فى الفراش وطفق يتقلب .

ومرت لحظات لم يستطع أن يستقر فيها فقام وأشعل سيجارة ، وجعل ينفخ دخانها وهو شارد لا يفكر فى شىء . إنه ملول يقاسى وحدة قاسية . كان قبل أن يتزوج يقضى الساعات وحيدا وما كان يضيق بوحدته ، ولكنه بعد أن تزوج وملأت سوسن حياته أصبح الفراغ يضايقه ويرهق حواسه .

وذهب إلى المطبخ وأخذ يذيب بعض السكر فى كوب وعصر عليه ليمونة وراح يشرب الشراب فى بطء ، لم يكن مشتاقا إلى الشراب ولكنه أراد أن يفعل شيئا يملأ فراغه البشع الفاغر فاه ليبتلعه .

وعاد إلى غرفته وأخذ يعيد تنسيق ثيابه فى الصوان ، وسرعان ما تضايق فاتجه إلى السرير يرتمى فيه ، وأدار الراديو وأصاخ سمعه يسمع الأغنيات المنبعثة منه ، وما لبث أن أغلقه وتناول مجلة جعل يتصفحها ولم يندمج فيها ، كان يستشعر نقصا ، إنه فى حاجة إلى إنسان يحادثه ويجادله ويتفاعل معه ، ليحس وجوده ، ويقتنع أنه يعيش .

فراغ وملل .. ولا شيء غير الفراغ والملل ، ولأول مرة فهم لماذا يقدم بعض الناس على إدمان الشراب ، ليفروا بأنفسهم من قسوة الوحدة والفراغ الممض الثقيل .

واحتلت صورة سوسن تفكيره ، فحن إليها ووطن العزم على أن يذهب إليها وأن يضع أصابعه فى أذنيه ليصمهما عن صوت كبريائه الذى ينهاه عن أن يترضاها ، ويصر على أنها مادامت قد خرجت غاضبة ، فعليها أن تعود بنفسها كما خرجت .

ودق جرس الباب فدق قلبه فى شدة وتحرك قلقه ، وأحس إحساس المحب المقدم على موعد غرام . داعبته فكرة عودتها فأسرع وهو نشوان .

وفتح الباب ، فألفى موزع البريد يقدم إليه رسالة . فتناولها وفضها وقرأ فى لهفة ، كانت رسالة منها .. كانت لا تتجاوز سطرين ، طلبت منه فيها أن يستمع إلى ما يطلبه المستمعون الليلة .

وحنق وجعل يقلب الرسالة بين يديه . وقر فى نفسه أنها تسخر منه ، وهب صوت كبريائه يخزه ويوسوس فى نفسه أن يتركها حتى تعض بنان الندم .

وجاء المساء وهو قلق ، ضيق بالفراغ الذى يعيش فيه ، وفكر فى أن يخرج ولكنه لم يستطع الحركة فقد تسمر إلى جوار الراديو .

وأدار الراديو وهو مسلوب الإرادة ، وأنصت إلى ما يطلبه المستمعون ، كانت المذيعة تردد أسماء أناس يطلبون أغنيات يهدونها إلى أقاربهم أو أحبائهم أو أصدقائهم فى بلاد بعيدة أو قريبة ، ولم يفهم ما الذى حرك شيطان سوسن لتدعوه إلى الإصغاء لهذا البرنامج .

وهم بأن يغلق الراديو وهو يسخر من نفسه لأنه استجاب لهزئها ، وفجأة صك أذنيه صوت المذيعة تقول ، ومن السيدة سوسن إلى زوجها فؤاد . وخفق قلبه فى شدة ، ولفته رهبة وأحس أنه فى غيبوبة ، وتعطل تفكيره برهة ، ولكن سرعان ما عاد عقله يعمل ، فاستنكر فعلتها ولكنه أعار الراديو سمعه وراحت الأغنية تغنى :

ما تجبنيش بالشكل ده وتغير كتير من ده وده

واستمرت الأغنية تنساب فى روحه وهو مطرق يهتز حينا ويرتجف حينا ، وخيل إليه أكثر من مرة أن سوسن هى التى تغنيها .

ومست الأغنية وترا حساسا فى نفسه فانهارت مقاومة كبريائه ، إنها تدعوه لينسى غيرته ، لينسى ما كان بينهما من جفوة ، إنها دعوة للصلح ، وما كانت تستطيع أن تفعل أكثر من هذا ، فعليه أن يقدم هو الخطوة التالية .

وأقنع نفسه وما كانت فى حاجة إلى إقناع .

وارتدى ثيابه على عجل ، وانطلق وهو يكاد يجرى ، حتى إذا بلغ دارهم تمهل يلتقط أنفاسه ويتصنع الوقار .

ودخل وقابل جلالا والأم ، وصافحته الأم وهى فرحة وإن كانت الدهشة تسرى فى جوفها ، وراحت تتساءل : كيف عرفت سوسن أنه سيأتى الليلة فى الساعة التاسعة .. ولم تجد جوابا .

وبدأ فؤاد يتكلم ، كان عازما على ألا يشكو وألا يعيد الماضى ، ولكن لسانه جرى بما لا يشتهى وقال :

— كثر خروجها بدون إذنى ، وطال غيابها دون أن أدرى أين هى ، ولما عاتبتها حملت ملابسها وخرجت .

فقال جلال وهو يضحك :

ـــ سوسن بنتي ، ولكنني بالرغم من ذلك أسدى إليك نصيحة ، المثل يقول :

« الضرة تعدل القمطة العوجة » .

وذهل فؤاد ، واتسعت عينا الأم رعبا وقالت فى عتاب :

ـــ دائما تمزح .

فقال جلال فى إصرار :

ـــ إننى أمزح ولا أقول إلا صدقا .

وضحك وبدأت كرشه تهتز ، والتفتت الأم إلى فؤاد :

ـــ يا بنى قم اخز الشيطان الله يهديك وخذ زوجتك ، إنها تنتظرك فى الغرفة الثانية .

وتململ فؤاد وأحس خجلا ، وانتظر أن يدعوه جلال للذهاب ليأخذ سوسن ولكن جلال قال :

ـــ إذا ركبت المرأة وهزت رجليها فلن تنزل أبدا . أنت حر .

وراح فؤاد ينظر فى حيرة ، إنه لا يستطيع أن يسبر غور هذا الرجل ، أهو معه ضد ابنته ، أم أنه يسخر منه ، أم أنه يهذى لا يدرى ما يقول .

ونهضت الأم وقد ضاق صدرها ، جذبت فؤاد من يده وقالت فى توسل :

ـــ قم يا بنى الله يهديك .

ونهض فؤاد وسار فى خطا وئيدة مضطربة وفى جوفه قلق وهوان ، فقد ضخم له وهمه ما قاله الأب ، وراح يقنعه أن سخريته لاذعة .

وغاب فؤاد عن عينى الزوج والزوجة ، وقالت الأم فى عتاب مرير :

ـــ يا رجل اعقل ، هل هناك أب فى الدنيا يحرض زوج ابنته على أن يتزوج عليها وأن يأتى لها بضرة .

وضحك جلال فى سخرية وقال فى زراية :

ـــ لو كان كفئا لأن يتزوج مرة أخرى ما جاء إليك أو إلى ابنتك يتوسل . اطمئنى إنه أضعف من أن يتزوج امرأة أخرى .

ودخل فؤاد على سوسن خافق القلب ، فقد هد أبوها كيانه وزلزله زلزالا عظيما ، ولم يجد مايقوله ، فاتجه إليها ولف ذراعه حولها وقال فى صوت خافت مضطرب :

ـــ سوسن .

ونظرت إليه وهى عابسة ، فقال فى ضعف :

ـــ هيا بيتنا ينتظرنا .

وتحركت سوسن لتعود بحقيبتها ، كانت مسرورة تصدح فى أعماقها أهازيج النشوة ، وتأكدت من سلطانها فزادت غبطة وطغيانا .

وراحت تضع ملابسها فى حقيبتها وسهير جالسة ساكنة ، ولما انتهت سوسن من إغلاق حقيبتها وحملتها ، التفتت إلى سهير وأخرجت لها لسانها تغيظها .

وأطرقت سهير والأسى يأكل صدرها ، هوت سوسن فى عواطفها حتى الدرك الأسفل ، وخرجت سوسن من البيت وذراعها فى ذراع فؤاد ، والغرور يملأ جوانحها .

٢٥

دخلت أحلام تتلفت وقالت :

ــ أين سهير ؟

فقالت الأم :

ــ فى سريرها ، تحس بعض التعب .

وسارت الأم أمامها حتى إذا بلغت غرفة نوم سهير فتحت الباب وقالت :

ــ تفضلى .

ودلفت أحلام من الباب ، وقبل أن تخطو خطوة قالت سهير وهى ترفع يدها كجندى المرور :

ــ قفى لا تتقدمى .

وقفت أحلام وقالت فى دهش :

ــ ماذا هناك ؟

قالت سهير فى تحذير :

ــ الآسيوية .

قالت أحلام وهى تتقدم :

ــ بسيطة . ثلاثة أيام راحة .

فقالت الأم فى استغراب !

ــ حتى الأمراض أصبحت لها جنسية ، حمى أسبانولية ، دمل صينى ، إنفلونزا آسيوية ، جرب إسرائيلى .

فقالت أحلام وهى تبتسم :

ـــ ولكنها تنتقل بلا جواز سفر .

وقالت سهير وهى تبعد وجهها عن أحلام :

ـــ بل تنتقل مع جوازات السفر .

وقالت الأم :

ـــ كل سنة مرض جديد .

فقالت أحلام :

ـــ تتبدل الأزياء والأمراض حسب المواسم ، صارت تتبع المودة .

والتفتت إلى سهير وقالت :

ـــ خسارة ، جميع من شاهدوا رواية اليوم قالوا إنها مدهشة .

ونظرت فى ساعتها فقالت لها سهير :

ـــ ماذا وراءك ؟

ـــ ما يزال هناك متسع من الوقت لأعود إلى البيت وآخذ عمر ونذهب معا :

ونهضت أحلام وهى تقول لسهير :

ـــ آسفة .

ـــ مع السلامة .

وانطلقت إلى البيت مسرعة ، وهبطت من التاكسى ورفعت عينيها فألفت ستائر غرفة النوم مسدلة ، والنور لا يقوى على أن ينتشر فيها ، ولم تأبه .. حسبت عمر قد استلقى فى السرير يقرأ .

وصعدت فى الدرج مسرعة ، ودقت جرس الباب دقات متتابعة ، ولم تشأ أن تضيع وقتا فأخرجت المفتاح من حقيبتها ووضعته فى الباب

وأدارته ، وماأن تقدمت بضع خطوات حتى وقع بصرها على عمر منفوش الشعر يصلح ثيابه وقد علاه ارتباك شديد .

ووقفت برهة فى دهش ، وفى مثل لمح البصر حزرت كل شىء . كان لونه أصفر ممتقعا كوجوه الموتى ، وكان يرتجف من رأسه إلى أخمص القدم وفى عينيه يأس شديد .

وخفق قلبها برهة ، واضطربت نفسها ، واستولى عليها حنق وغضب ، وانطلق وحش كاسر يزمجر فى أعماقها ، وأحست قوة طاغية تسرى فى عروقها فتقدمت كالإعصار لترى من فى الغرفة .

واعترض طريقها عمر ، ودفعته فى قوة وهى تصيح :

ـــ لا بد أن أرى الفاجرة التى دنست بيتى ، لن أدعها تخرج حية أبدا .. سأقتلها .. سأقتلها .

وراحت تدفعه وهو يقاومها ، واستماتت فى دفعه فقد أمدتها ثورتها بقوة ، واستمرت تصرخ والسباب يتدفق من فمها ، وهو يحول بينها وبين الوصول إلى غرضها .

وفى مثل لمح البصر لمعت فى رأسه فكرة ، فراح يدفعها فى عنف وهى تقاوم ، واستمر يدفعها حتى وصلا إلى باب غرفة مفتوحة . وفطنت إلى ما يبغى فراحت تضربه فى صدره ووجهه وقد تسمرت فى الأرض وهى هائجة تصرخ .

ودفعها من الباب فى شدة ، وتشبثت بالضلفة المغلقة لا تتركها ، واستمر يدفعها دون أن تتحرك ، وحاول أن يفك قبضتها عن الباب دون جدوى ، واستطاعت أن ترده على أعقابه وتخرج .

وهجم عليها يائسا ، ولف ذراعيه حولها وقد كتف ذراعيها ، واستمر يحملها ويجرجرها حتى بلغ بها الغرفة ، وألقاها وأسرع ليغلق الباب خلفها ، ولكنها نهضت لتحول بينه وبين إغلاق الباب عليها .

واستمر يجذب الباب ليغلقه واستمرت تجذبه لتفتحه ، وثبتت قدمه فى ضلفة الباب المغلقة ، وألقى بكل جسمه إلى الخلف وهو يجذب الباب . وبعد جهد أغلق الباب وأدار مفتاحه .

وراحت أحلام تضرب الباب بقبضتيها وهى تصيح وتصرخ وتسب . والحنق يكاد يمزقها ، والغضب يزمجر فى أرجائها ، والهوان يكاد يقضى عليها . وأسرع عمر وهو يشهق ويزفر فى صوت مسموع إلى غرفة النوم وأشار لسوسن أن تلوذ بالفرار .

وانسلت سوسن وهى تترقب ، خائفة حتى الموت ، مضطربة حتى لتكاد تسقط إعياء ، تجر رجليها جرا ، وتحمل بعض ثيابها على ذراعيها ، وخرجت وهى فزعة مرعوبة يكاد يغمى عليها .

ووقف عمر يلتقط أنفاسه وهو فى دوامة ، ثائرا قلقا منزعجا ، مخدر العقل ، متوتر الأعصاب ، مرهف الحس ، فقد ذهبت نفسه شعاعا .

وساد صمت مريب ، لم تعد أحلام تسب وتلعن وتضرب الباب بقبضتيها فى ثورة ، وأوجس خيفة ، وراح ذهنه يعمل ، ففطن إلى أنها قد ذهبت إلى الشباك لترى الهابطة التى دنست فراشها .

وفزع ، ودوى قلبه بين جنبيه دويا قويا ، وزحفت الرهبة وانتشرت بين ضلوعه وأسرع إلى الباب يفتحه فى لهفة وانفعال ، ونظر فألفاها عند الشباك واقفة ترصد الطريق فى تحفز وقلق ..

وانقض عليها كالنسر يحاول أن يبعدها عن الشباك ، وثبتت قدميها فى الأرض وجاهدت حتى لا تتزحزح ، وراح يضع يده على عينيها حتى لا ترى شيئا ، وتمكنت من أن تزيح يده ، ولكن سرعان ما جذبها جذبة قوية أبعدها عن الشباك .

وعادت تقاوم فى إصرار ، مبهورة النفس ، منفوشة الشعر ، وقد تمزق ثوبها بعد أن تمزق قلبها وطعنت كرامتها ، راح يلوى ذراعها فى قسوة . كان مستعدا أن يفعل أى شيء ليستر سوسن .

ومالت عليه وعضته فى وحشية ، فأرخيت قبضته الحديدية ، وانفلتت منه ، وجرت إلى النافذة وقد لمحت شبح امرأة تتقدم إلى الظلام ليبتلعها .

وعاد إليها ليدفعها عن الشباك ، ولكنها تحولت عنه يائسة ، وراحت تزمجر وتسب ، وأصبح كل منهما أمام الآخر وجها لوجه .

وأحس عمر راحة لانفلات سوسن . وإن كان يائسا فقد تيقن أن كل ما بينه وبين أحلام قد إنتهى .

وكانت أحلام تئن وتنزف مقتا ، وتستشعر هوانا وذلا ، على الرغم من ثورتها الجامحة . وقالت فى انفعال شديد وقد تحجرت الدموع فى مآقيها :

ـــ فى بيتى .. وعلى فراشى ؟! يا للمهانة ! لم تكتف بخيانتى بل أمعنت فى احتقارى وإذلالى ، لا ، إنك لم تحتقرنى بل احتقرت نفسك ، إنك لم تلوث شرفى ولكنك بعت شرفك ، حسبتك العفة ، فإذا بك الدناءة نفسها .. لا لن أعيش معك بعد اليوم أبدا ، أنت جيفة نتنة ، روح متقيحة ، نفس شريرة ، أكرهك .. أمقتك .. أمقتك ..

وانفجرت باكية ، ودارت على عقبيها وانطلقت لا تلوى على شيء ، وعمر واقف كالتمثال لا يحرك ساكنا ، وإن كانت عواطف الحزن والأسى تكاد تعصف به : كان يحس خجلا ، ولكنه لم يشعر بندم .

٢٦

أتى المساء ، وراح عمر يتأهب لاستقبال سوسن ، وضع نضدا أمام مقعد طويل يتسع لهما ، وجاء بالزجاجة التى اشتراها ووضعها على النضد ، ثم صف الكأسين إلى جوار الزجاجة ونظر . وما لبث أن عاد يحرك الكأسين ويبدل وضعهما وينظر كأنما يقوم بعمل هندسى .

ونظر فى ساعته وانطلق إلى المرآة يصلح الروب يلفه حول جسمه الذى يكاد يكون عاريا ، وتناول المشط وراح يعيد تنسيق شعره الأسود الفاحم ، وفتح فمه وأسنانه مطبقة ، وتفرس فى أسنانه ، وجاء برشاشة كولونيا وضغط على مطاطها يرش وجهه وفمه مفتوح .

وراح يفكر فيما فعله اليوم ، انسل إلى بيت فؤاد فى الصباح ، ودق الجرس وجاءت سوسن وفتحت الباب فقال وهو يغض الطرف ، ثم يختلس إليها نظرات نارية كما يفعل المتظاهرون بالحياء .

— فؤاد بك موجود ؟

وقالت من وراء الباب كأنما لم تره من قبل :

— لا . من فضلك نقول له من ؟

فقال وهو يمد راسه ليكشف مفاتنها .

— صديقه عمر .

فقالت كأنما تذكرت شيئا فجأة :

— آه الأستاذ عمر . أنبل الأصدقاء .

إنها قاسية ، تميل إلى تجريحه والهزء به أحيانا ، ولكنه يحبها ، يشتهيها ، حياته فراغ بدونها ، صار يتمنى لو تقضى بقية العمر معه .

وقال وهو يتقدم منها :

— أرجو أن تبلغيه أننى أنتظره فى البيت الليلة .

— أفعل .

ودفع الباب ليدخل ، ولكنها حالت بينه وبين الدخول وقالت فى سخرية :

— إننى لا أستقبل رجالا فى بيتى وزوجى غائب .

فضحك وتلفت فلما لم يجد أحدا أراد أن يقبلها ، فقالت وهى تحرك سبابتها أمام وجهه :

— حذار ، إننى أمقت أن ألوث بيتى .

واضطرب ، إنها تخزه وخزا أليما وهى هادئة تبتسم ، كأنما تداعب هرة ، واحتمل وخزها وقال :

— منتظرك الليلة .

وأغلقت الباب وانصرف .

محيرة هذه المرأة ، إنها قاسية غامضة ذات نزوات ، ولكنه يحبها كما هى بقسوتها ونزواتها وغموضها .

وتطلع إلى ساعته مرة أخرى ، وعاد إلى الزجاجة والكأسين وجعل يحركهما ويعيد تحريكهما ، ثم انطلق إلى النافذة يكشف الطريق لعله يلمحها قادمة .

وراح الوقت يمر وئيدا وئيدا ، وتحرك قلقه ، وطفق يتلفت فى لهفة وحيرة ، وهمس فى جوفه صوت يؤكد أنها لن تأتى ، إن مقابلة الصباح وإن كانت ناعمة إلا أنها كانت ملساء كالأفعى ، توحى بأنها قد عزمت أن تقطع كل ما بينه وبينها .

وأخنقه الهمس البغيض ، وقبض صدره ، وآلم قلبه ، وراح يطمئن نفسه ويقنعها بأنها إن أخلفت ميعاد الليلة فقد تكون مضطربة مترددة من أثر المفاجأة .

وراح الصوت الهامس يفح فى نفسه : مضطربة ؟ مترددة ؟ إنها لا تعرف الاضطراب ولا التردد ، إن كانت لا تزال تريدك فقد كانت الفرصة مهيأة فى الصباح ، بعيدا عن مكان المفاجأة . إنها صدتك فى نعومة ، حتى القبلة الخاطفة حرمتك منها .

وزاد انقباضه وربا ضيقه ، وتحرك حنينه وراحت كل خلجة من خلجات نفسه تهفو إليها . إنه لا يتصور أن تهجره ، ضحى بزوجته فى سبيلها وهو على استعداد ليضحى بها مرة أخرى لو كان ذلك يرضيها .

وحنق واندلعت ألسنة النار فى أحشائه ، واستولى عليه خوف شديد قاتل . كان يخشى أن تكون قد هجرته ، خفق قلبه فى شدة وأحس كأن روحه تكاد تفر من بين جنبيه .

ولكن لماذا تهجره ؟ إنه لا يزال عمر ، بل أصبح عمر بلا زوجة . كله لها ويا ليتها تصبح كلها له ، بات يغار من فكرة أن لها زوجا ، رجلا آخر غيره يشاركه فيها .

ليته قادر على أن يخطفها ، أن يفر بها ، أن يعيش هو وهى وحدهما بعيدا عن البشر جميعا . إن قلبه لم يخفق لأحلام كما خفق لها . كان زوجا

ولكنه لم يكن يعرف معنى الحب . فتحت عواطفه على عوالم جديدة ، على دنيا رحيبة ، وما كان ليعود إلى دنياه الضيقة بعد أن ذاق طعم الحياة .

لن يدعها تفر منه أبدا ، أو تتسرب من بين يديه .. إنها درته الغالية ، إنها الأمل والنور ، إنها نبضات قلبه المتدفقة ، إنها مهجته وغاية ما يريده من دنياه .

وراح يذهب ويجيء فى الغرفة وهو قلق ، فاض ضيقه وخوفه من عدم موافاتها له حتى كادت الدموع تطفر من عينيه . ليتها تقبل لتقضى على هذا الاضطراب والضيق واللهفة التى يكابدها .. ليتها تقبل ليهدأ قلبه الولهان والوساوس القاسية التى تضنيه .

ودق جرس الباب فطارت نفسه شعاعا ، وخفق قلبه كجناح حمامة ، ولكن مالبث أن غطت النشوة كل مشاعره المتيقظة النشيطة المتدفقة فى أعماقه ، التى لم تعرف الاستقرار ولا الهدوء مذ هام بها حبا .

وأصلح روبه وخف إلى الباب مسرورا ، وفتحه وقد رفت على شفتيه بسمة ترحيب سرعان ما غاضت لما رأى فؤاد أمامه .

قال فى صوت مضطرب :

ـــ أهلا .. أهلا .. تفضل .

ودخل فؤاد وهو يقول :

ـــ خيرا ! قالت لى سوسن إنك مررت على المنزل صباحا وطلبت منها أن تخبرنى أن أمر عليك الليلة .

وتلفت عمر فى حيرة وأسى ، وزاد فى أساه أنه أحس أنها تعبث به . أنه يعلم علم اليقين أنها قاسية عابثة ، ولكنه ما كان يحسب أن عبثها يبلغ حد السخرية به وبزوجها ، وتمريغهما فى الوحل .

وراح فؤاد يتحدث فى بساطة .

ـــ والله يا أخى أمرك عجيب ، لماذا لم تمر على فى المكتب : تعلم أننى من الموظفين الذين لا يغادرون مكاتبهم أبدا .

وتحاشى عمر أن يقوده إلى الغرفة التى أعد فيها زجاجته والكأسين ، ودلفا إلى غرفة أخرى وعمر يقول وهو مطأطئ الرأس :

ـــ والله كنت مرتبكا ، ولم أشأ أن أقابلك فى المكتب وأنا على هذه الحال ..

وأحس أن حجته ضعيفة وإن كان فؤاد مستعدا أن يصدقها ، ولكنه فى أعماقه كان يستشعر أنها حجة واهية ، فراح يقول ليبرر ذهابه إلى منزله فى الصباح وهو يعلم أنه غائب ، فقد كان فى قرارته يشعر بالإثم .

ـــ وما أريد أن أفضى به إليك يحتاج إلى خلوة وهدوء .

ورنت فى أذنه كلمة « خلوة » رنينا ساخرا مزق أعصابه وزادها تمزيقا أنه تخيل أن سوسن تضحك الآن منهما ضحكتها الهازئة المريرة . وسرعان ما قفزت إلى ذهنه فكرة أنها قد تكون بعثت بزوجها إليه ليخلو لها الجو لملاقاة رجل آخر غيره. إنها فاجرة قادرة على أن تستغل أسوأ الظروف لتحصل على ما تريد . وتلوى من ألم الفكرة ، وفطن فؤاد إلى الإرهاق الذى بدا عليه ، فقال فى إشفاق :

ـــ ما بك ؟

فقال وهو مطرق ، يفرك يديه فى قوة :

ـــ لم أنم بعد أن هجرتنى أحلام .

ودنا منه فؤاد وقال :

ـــ هجرتك ؟ لماذا ؟

وأشاح بوجهه عنه وقال :

ـــ تشاجرنا .

ـــ ما السبب ؟

فقال عمر وهو يغالب الثورة العارمة التى اتخذت صدره مسرحا لها :

ـــ سبب تافه من الأسباب التى تثير المشاحنات بين الأزواج غالبا .

فضحك فؤاد وهو يشير بيده إليه مهونا من شأنه ، وقال :

ـــ أكل هذا الفزع لأنك تشاجرت مع أحلام ؟ هون عليك . الأمر أيسر مما تتصور .

وأشار إلى نفسه وقال فى سرور :

ـــ سل مجربا .. لا بد من المشاحنات لدوام الحب فى البيت السعيد . إنها الماء الذى يروى شجرة الغرام .. إنها السماد الذى يمدها بالقوة والحياة .. إنها مجدد النشاط .

وضحك وقال وهو يضرب عمر على ظهره :

ـــ وبعد الصلح يبدأ شهر عسل جديد .

وراح فؤاد يداعب صديقه ويمازحه ليمسح عن صدره قلقه وكدره ، بينا كان عمر يفكر فى سوسن ، والغيظ ينهش جوفه ويزيده من أمره عسرا .

٢٧

كانت سوسن تعد الغداء وهى هادئة ، لم تنفعل ولم تفكر فيما تفعله عندما تجد نفسها أمام عمر وجهاً لوجه على مائدة واحدة وزوجها المخدوع بينهما . وكانت واثقة من قدرتها على ضبط عواطفها . وزاد فى هدوئها أنها أصبحت تعتقد فى قرارة نفسها أنه لم يعد بينها وبين عمر شىء . خلعته كما تخلع ثوبا بلى من أثوابها ، ولفظته كما يلفظ المرء نواة البلح ، وما كان ليفكر فى النواة .. بعد أن يلفظها .

فقد عمر سحره بعد أن خرجت أحلام من بيته . لم تعد هناك مغامرة إن أرادت أن تستولى عليه ، ولم يعد سلبه ممتعا . فممن تسلبه بعد أن هجرته زوجته التى كانت تمقتها أشد المقت ؟

إنها تحتقر كل ما تملكه ، يهون شأنه ويصبح كالقذى فى عينيها ، وتتطلع فى اشتهاء إلى ما فى أيدى الناس وإن كان أهون مما فى يدها ، ولا يحلو لها إلا أن تمد عينيها إلى أزواج صديقاتها أو جاراتها أو من رماها سوء طالعها فى طريقها ، وإنها لتجد لذة فى أن تقوض كل ما تواضع عليه البشر من فضل ومثل عاليه .

رمت نفسها فى أحضان عمر لتسخر من أحلام وتنتقم منها ، ولتضرب معاول الهدم فى خرافة الصداقة النبيلة الوفية . إنها ما أن أشارت إلى أنبل صديق بأصبعها حتى خر ساجدا عند أقدامها .

كانت مغامرتها مع عمر ناجحة، ولكنها انتهت بعد أن حققت أغراضها جميعا . وما كانت تكتفى بمغامرة واحدة ناجحة بعد أن ذاقت لذة المغامرة ولذة الانتصار .

وهى واثقة كل الثقة من أن هجرها لعمر سيعذبه ويرهقه ويضنيه ويحيل حياته جحيما ، وأن هذا الألم الذى يستشرى فى روحه هو الدم الذى يغذى سعادتها ، ولو جاء إليها ذليلا خاشعا يتوسل لزادت روافد نشوتها .

ليتها تستطيع إذلال الناس جميعا ، أن ترغمهم على أن يهابوها ويخشوا بأسها وأن يسجدوا لها .

وراحت تعد السفرة وتبالغ فى تنميقها ، لا ترحيبا بعمر الضيف الذى استضافه زوجها اليوم ليتناول معهما الغداء ، إشفاقا من أن يتناول غداءه فى الطريق بعد أن تركته زوجته ، بل لتشعره بفداحة الخسارة التى منى بها بعد أن قطعت كل سبب بينه وبينها .

وخفت إلى حجرتها تنتقى أكثر أثوابها إغراء ، وراحت تبرز كل مفاتنها لتسيل لعابه وتؤجج نار الصبابة فى جوفه ، ومن ثم تتركه للحرمان يتلظى بسعيره ، وهو لا شغل له إلا التفكير فيها هى ، وإنها لسعادة أن تعرف أن طيفها يطرد الوسن من عينيه بينما تنام ملء جفونها .

وسمعت جرس الباب يدق دقا خفيفا ، ثم صوت المفتاح وهو يدور فى القفل ، إنه فؤاد دق الجرس لينبهها أنه قادم لا ليناديها لتفتح ، وتطلعت إلى نفسها فى المرآة ثم سارت لاستقبالهما .

وقال فؤاد :

ــ تفضل .. تقدم .. أنت فى دارك .

وتقدم عمر ، وخفت سوسن إليهما وقالت وهى تصافح عمر :

ــ أهلا وسهلا ، تفضل .

وقادتهما إلى غرفة الاستقبال ، وجلس عمر وفى قلبه قلق الحب ، وفى عينيه وجد وعتاب ، وقال فؤاد لصديقه :

ـــ عن إذنك أخلع الجاكتة .

ثم التفت إلى عمر وقال :

ـــ هات جاكتتك .

فقال عمر :

ـــ شكرا ، أفضل أن أبقى هكذا .

فقال فؤاد وهو يبتسم :

ـــ اطمئن . لن نسرق منها شيئا .

وأراد أن يداعب زوجته فقال :

ـــ على الأقل ، أنا واثق من أننى لن أسرق منها شيئا ، ولكن لا أدرى ماذا ستفعل سوسن .

وضحك وانصرف وتركهما وحدهما .

ودق قلب عمر دقا عنيفا ، وراح يترقب فى حيرة ، ثم التفت إلى سوسن وقال فى صوت هامس ينم عن العتاب :

ـــ لماذا لم تأتى ؟

فرفت على شفتى سوسن بسمة هادئة وقالت :

ـــ إننى لا أدخل بيوتا غابت عنها الزوجات .

فقال وهو يتألم :

ـــ بالله دعى الهزر .

فقالت فى إيمان .

ـــ والله أقول حقا .

وأقبل فؤاد وهو يمرر يده على بطنه ويقول لسوسن :

ـــ جعنا .

فقالت سوسن :

ـــ الطعام جاهز فى انتظاركما .

وقال فؤاد لعمر :

ـــ ستأكل أشهى طعام .

فقالت سوسن وهى تتحرك خارجة :

ـــ لا تمدح طعامك .. دعه يتذوقه أولا ثم يحكم .

وقرأ عمر فى عينيها خبثا ، فراحت مشاعر متباينة تمور بين جوانحه . تدفقت إفرازات الخوف والقلق والرغبة والحنان والهوان ، وراح الإحساس بالهوان يربو حتى كاد يبتلع المشاعر الأخرى كلها ، وإذا به يستشعر أنه جيفة نتنة تغوص فى مستنقع آسن كريه .

وراح يجاهد لينتشل نفسه من المستنقع ، لينأى بها عما تردت فيه ، ليتطهر من الوعاء النجس الذى ولغ فيه ، ليسترد كرامته المسلوبة ، وتعود إليه إنسانيته . ولكن ما إن أطلت عليه بقامتها الممشوقة حتى تبخر كل ما كان يفكر فيه ، ولم يعد يرى ولا يحس إلا إياها .

وقالت وهى تتثنى فى رشاقة :

ـــ تفضلا .

وإذا به ينهض قبل أن يقوم فؤاد ، فهو أعجز من أن يعصى لها إشارة .

وساروا إلى المائدة ، وجلست سوسن فى الصدر ، وعمر عن يمينها وفؤاد عن يساره وبدءوا فى الطعام . وراح فؤاد يتحدث أحاديث عابرة وعمر مشغول عنه بالانفعالات التى تنفجر فى جوفه .

أراد أن يطمئن إلى وجود سوسن معه ، أن يحس أنها تشعر به وتبادله بعض ما يعتمل فى صدره ، فمد رجله من تحت المائدة وراح يتحسس ساقها ، ولامست ساقه فأبعدت ساقها عنه . لم تستجب لدعابته فانقبض وزادت مخاوفه . تيقن من أنها أغلقت نفسها دونه .

وراح يرنو إلى فؤاد وهو مشغول عنه بالغيرة التى كانت تنخر روحه . بات يغار منه لأنه زوجها يستطيع أن ينعم بها ويسعد بقربها ، بينا هو فى التيه لا يدرى أتسمح له بالعودة إلى الجنة ، أم تلح فى الصد وتدعه يقاسى وطأة الحرمان . إنها قسوة أن يطرد المرء من النعيم بعد أن يذوق حلاوته ، ولكن ماذا جنت يداه حتى يطرد ؟ إنه حطم بيته ، وقسا على امرأته قسوة كان يرتجف لها فرقا لو خطرت على قلبه . أيقف مكتوف اليدين أمام صدها ؟ وماذا يستطيع رجل أن يفعل لامرأة ازورت عنه وأقامت بينه وبينها سدا من الجفاء ؟ إنه لا يملك إلا أن يتوسل .. أن يستعطف .. أن يجثو على ركبتيه يلتمس الوصال ، أو يقسو على نفسه ويطأ قلبه بالأقدام .

ليته يستطيع أن يكتم أنفاس قلبه المجنون ! ليته يستطيع أن يخنقه ويستريح ! إنه ليرتجف من الرعب .. يخشى أن يكون أضعف من أن يكبح جماح قلبه الولهان . آه لو استبد به فؤاده كما يستبد به الآن ، لكتب عليه الشقاء .

والتفت فؤاد إلى سوسن وقال :

ـــ تشاجر عمر مع أحلام وتركت له البيت . وهو كما ترين شارد حزين . إنه لا يصبر على بعدها .

وابتسم فؤاد ، ورنت سوسن إلى عمر رنوة ساحرة وقالت :

ـــ هذا وفاء .

وزاد انقباض عمر وزادت حيرته ، وجعل يتلفت كأنما كان يخشى أن يكشف فؤاد المشاعر الفوارة الثائرة بين جوانحه .

وقال فؤاد لسوسن :

ـــ أرى أن تذهبى إلى أحلام وأن نلتمسى منها العودة .

وقالت سوسن فى هدوء دون أن تنفعل ، أو يبدو عليها الاضطراب :

ـــ من رأيى أنه من الأكرم للزوجين أن يسويا خلافهما دون وساطة ، ودون أن يدعا لأحد فرصة للتدخل فى حياتهما الخاصة .

وصمت فؤاد وكان ينتظر رد عمر ، ولكن عمر كان فى دوامة من المشاعر القاسية . خيل إليه أن قهقهات عالية ساخرة ترن فى أغواره وتطعن كبرياءه وتتركها تنز قيحا وصديدا .

وقالت سوسن :

ـــ حاولت أحلام أن تتدخل بينى وبين فؤاد لما ساد بيننا سوء تفاهم ، ولكنى رفضت .. قلت لها هذا أمر بينى وبين فؤاد ولا أحب أن يتدخل بيننا أحد .

وساد صمت ، كان كل منهم مشغولا بأحاسيسه : فؤاد سعيد بزوجته العاقلة الرشيدة ، وعمر حانق على نفسه حائر فى الأفعى التى تتلوى أمامه . إنه يخشاها ويضيق بها أحيانا ولكنه أعجز من أن يمقتها وأن يفك نفسه من إسارها ، وسوسن تحاول أن تتألق لتبهر الرجلين معا .

٢٨

التقت أحلام وسهير ، كانت أحلام ذابلة غاض لونها وذهب أمنها وسكن الانكسار عينيها اللتين كانتا تتألقان دواما ببريق السعادة القانعة ، وكانت سهير حزينة حقا للرزء الفادح الذى انقض كالصاعقة ليزلزل أركان العش الذى كان رمزا للحب العاقل الرصين .

وقالت أحلام فى نبرات تقطر مرارة :

ـــ تهتك الحجاب فى لحظة عن وجه الحقيقة البشع البغيض ، تيقنت أن عمر يخونني وفى بيتى وعلى فراشى ، وانفجرت جميع مقدساتى وتطايرت أشلاء . واكتشفت فجأة أن حياتى التى كنت أظنها مبرأة من العيوب ينخر فيها السوس . إنها لأقسى لحظة فى حياة الإنسان تلك التى يصفعه فيها الواقع ، ويصرخ فى وجهه ساخرا ليقول له إنه مخدوع ، لم يكن أمامى إلا أن أصرخ وأسب وأضرب صدره وأمزق ملابسه . ولكن ماذا يجدى الصراخ والعويل وقد تناثر كل شىء ؟ الماضى الجميل بذكرياته ، والمستقبل بأحلامه وأمانيه ، ولم يبق إلا الواقع الأليم بروائحه الكريهة التى تزكم الأنوف .

أصبح حبيبى فى طرفة عين غريمى الذى يؤذينى النظر إليه . الحب المذخور تعفن فجأة وصار مقتا وكرها . الرجل الذى كنت أفخر بأنه زوجى تلاشى وسقط من عينى . كل شىء تغير حتى نفسى الصافية تلبدت بغيوم البغض والحقد والأحزان .



وصمتت أحلام برهة ، ولم تنبس سهير بكلمة

كانت الليلة الأولى التى عشتها بعد الكارثة رهيبة أليمة قاسية ، طار النوم من عينى ، وأرهفت حواسى ، وراحت المأساة تمر أمام خيالى كل لحظة فتجدد أشجانى وتؤجج نار جوفى . واستولت على غيرتى وراحت تطحننى طحنا وأنا أئن وأتلوى وأصرخ وإذا مس الوسن جفنى فسرعان ما أهب مذعورة .

كانت ليلة محمومة رحت أهذى فيها ، أمزق شعرى وأخمش وجهى ، وأضرب وسادتى بقبضتى فى انفعال ، وأبصق فى وجه خياله الماثل أمامى ، وألطمه وأصفعه وأركله ، ولكن ما كان شىء من ذلك ليشفى غليلى ، ففؤادى الممزق الذى كان ينزف دماء حياته ما كانت هذه التخيلات لترد له الروح .

وصمتت أحلام برهة ، ولم تنبس سهير بكلمة ، كانت تحس كل نبضة من نبضات أحلام الذاخرة بالألم ، فقد عاشت ليلة رهيبة كتلك الليلة ، يوم جاءت إليها سوسن تقذف فى وجهها الحقيقة المريرة ، وتعلنها أن فؤاد لفظها ليتزوجها هى ، سوسن شقيقتها ، وراحت مشاعر حزينة كابية تنتشر فى صدرها ، وأخذ قلبها يخفق خفقات حب يائس يحيا بلا أمل ، وكانت خفقاته كالموسيقى الحزينة التى تصدح فى جنازة حارة .

وزفرت أحلام زفرة طويلة طردت بها بقايا الهموم التى احترقت إثر النجوى الدائرة بينها وبين سهير ، وبدأت تستشعر أنها تتخفف من وطأة المشاعر التى كانت تضغط صدرها ولا تجد لها متنفسا ، واستأنفت مناجاتها قالت :

ـــ واستولت علىّ فكرة أن أراقب البيت ، أن أتربص بغريمتى حتى إذا عادت لتلويث فراشى انقضضت عليها أقتلها ، وراحت الدماء تتدفق

حارة فى عروقى ، وغطت أغشية الحقد بصرى ، وقد قتلت غريمتى مرات فى خيالى ، قتلتها رميا بالرصاص ، ألقيتها من الشرفة ، خنقتها بيدى ، طعنت قلبها بخنجر مسموم ، لكت كبدها بأسنانى ، حتى أحسست سخونة وذقت طعم دمائه .

بت ليلة دامية ، الدماء تنزف منها أو تقطر من يدى ، ولكن ما أن بلغ منى الجهد منتهاه ، وراحت ثورتى تخبو حتى رأيت أن فراشى قد تلوث وقضى الأمر ، وأن زوجى قد ضؤل وتلاشى حتى صار أهون من أن أرقبه أو أهتم بدناءاته .

تمرغ فى الوحل ، لم يعد الرجل الذى خفق قلبى بحبه وهام به ، مات ذلك الرجل ، قبرته وأنا أبكى أحر بكاء . أما الذى يدب على الأرض الآن كما تدب الدواب فهو رجل آخر ، لا يربطنى به سبب من الأسباب .

فقالت سهير فى اشفاق :

ـــ إنها صدمة تزلزل الكيان وتدمى النفس ، ولكن الأيام كفيلة بأن تأسو الجراح . لو صفحنا فإننا نرأب الصدع ونلم الفتق .

فقالت أحلام فى مرارة :

ـــ هيهات ، إنه أهون على الزوجة أن ترى زوجها مجندلا من أن تراه فى أحضان امرأة أخرى ، رأيته بعينى .. ليتنى لم أر شيئا ولم أعلم . فما أهون أن تصدمنا الحقيقة العارية دون أن نجد فرصة من الشك لنخدع أنفسنا . ليتنى ظللت مخدوعة فيه واستمررت أنعم بأوهامى الكاذبة التى كانت تسعدنى .

إننى أتمنى لو أنه استمر فى خياناته لى دون أن يجبهنى الواقع الأليم ، ويقوض سعادتى التى رفعت على أعمدة من النفاق والرياء والأكاذيب .

كان فى أيامنا الأخيرة يحوطنى برعايته ، ويغذينى بعطفه ويصب فى أذنى أهازيج الهيام كأنما عادت بنا الأيام إلى صدر زواجنا . كان يشعر فى قرارة نفسه بخطئه نحوى فكان يبالغ فى التودد إلى ليعوضنى عما سلب منى . إننى كلما تذكرت ما كان يهمس به فى أذنى أرتجف وأنقبض وتثور ثائرتى ، وأتمنى لو أستطيع أن أمحوها من ذاكرتى كما تمحى من الأشرطة الأغانى والأحاديث التى مجتها النفوس .

وساد الصمت بينهما ، وراحت كل منهما تجتر ذكرياتها وفى النفس لوعة وفى القلب نار . أخذت سهير تتذكر لقاءها الأول لفؤاد ، كانت مقابلة عارضة دبرتها المصادفات . ذهبت يوما إلى النادى لتبحث عن إحدى صديقاتها ، وما كانت من المترددات على النادى . علمت منه بعد ذلك أنه ذهب مصادفة إليه لمقابلة صديق وما كان من أعضاء النادى . وتقابلا فى الممر الموصل إلى الداخل ، ونظر إليها طويلا وراحت ترقبه من طرف عينها .. أحس كل منهما أن خيطا رفيعا ربط بينهما . وتقابلا مرة ثانية مصادفة فى المترو وتبادلا النظرات ورفت على الشفاه ابتسامات ، ولم تكن المقابلة الثالثة مصادفة بل كانت وليدة تدبير وصبر ، وراح ينتظر الساعات عند محطة المترو التى هبطت فيها ، وخرجت هى إلى محطة المترو كأنما قوة ساحرة تجذبها إليها ، كانت تحس فى أعماقها أنها ستجده هناك .

وكانت إيماءة من الرأس ، وتحية باللسان ، وحديث طويل ، وخفقان فى القلب ، وتلاق فى المقهى المنعزل الضارب فى الصحراء ، ورغبة فى الزواج ، وخطبة لم تدم طويلا .

وتنهدت أحلام وقالت :

— رأيتها وهى توسع خطاها لتغيب فى جوف الظلام ، كانت أقرب إلى الشبح ولكن قلبى خفق فى شدة ، ونبت فى رأسى وهم كرية زاد عذابى وضخم بلواى .

قالت سهير فى اهتمام :

— وما ذلك الوهم الذى نبت فى ذهنك ؟

فقالت أحلام وهى تشيح بوجهها كأنما تخشى أن تقع عيناها على مشهد بشع بغيض :

— لا .. لا .. إنه وهم من الأوهام .

فقالت سهير وهى تدنو منها :

— سألتك عن ذلك الوهم ما يكون ؟

فقالت أحلام فى أسى وانفعال :

— راح ذلك الوهم يتضخم فى سواد الليل ، واحتلت صورتها صفحة ذهنى . حاولت أن أطرد طيفها دون جدوى . كانت وهى تنظر إلى بعينيها الساحرتين ترهقنى .. تعذبنى .. نظراتها سهام تسدد إلى قلبى ، وابتساماتها خناجر تمزق صدرى . كانت هى الشامخة المتعالية وأنا الذليلة الخاشعة التى تتلقى السياط التى تهوى لتلهب ظهرى .

ودق قلب سهير رهبة وقالت :

— من هى ؟ من تكون ؟

فقالت أحلام وهى تتحامى نظراتها :

— لا .. لا .

وزاد اضطراب سهير وإن زاد يقينها ، وقالت :

— قولى .. بالله قولى .

وراحت أحلام تجمع أطراف شجاعتها . إنها تستشعر رغبة طاغية لتفضي بسرها وتستريح ، ولكنها أشفقت أن تجرح سهير . قالت :

ـــ إنها .. إنها ..

قالت سهير وقد اتسعت عيناها رعبا :

ـــ سوسن .

وغطت أحلام وجهها بيديها وأجهشت بالبكاء .

انقبضت سهير واشتد حزنها حتى أحست أنها تنوء ، وزاد فى أساها أن جرح نفسها الذى كاد يندمل قد نكئ . كانت تراودها أحيانا فكرة أن سوسن ورطت فؤاد ودفعته إلى الانزلاق دفعا ، حتى إذا ما ثاب إلى رشده عزم على أن يصلح خطأه الذى تردى فيه . ولكن هذه المراودة كانت تعذبها ، فقد كانت تتهم نفسها بالخسة لتركها مثل ذلك الخاطر الدنىء يقتحم رأسها ، ولكنها الآن لا تجزع من مثل ذلك الخاطر بعد أن وضحت لها الحقيقة .

وراحت تسائل نفسها : إنها تفهم أن تسلبها خطيبها لتتزوج منه ، ولكنها لا تفهم الدافع الذى يدفعها لسلب زوج امرأة أخرى . إن حرمان الآخرين مما فى أيديهم شهوة من شهواتها ، ولكن هل تبلغ تلك الشهوة حد حرمان الزوجات من أزواجهن ؟ لو أن تلك الشهوة استبدت بها حقا فقد هوت سوسن إلى الحضيض .

وقفز فكرها إلى أبيها ، إنه رجل مزواج ، يركب المغامرات ويجد لذة فى الإعلان عنها ، فهل جاءت سوسن ذواقة كأبيها ؟ وفزعت سهير للخاطر الطارئ وأخذت تجاهد لتبعد عنه فكرها .

وملأت صورة سوسن صفحة ذهنها فاشمأزت ، وحنقت ، ورن فى أغوارها صوت كأنه آت من مكان سحيق يهتف :

— عرسة .

ولف الضحيتين سكون قلق .. كالهدوء الذى يسبق العاصفة ..

٢٩

كانت سوسن تتزين ، وتنشر الأحمر على صفحة وجهها وعلى شفتيها بيد فنان ، وكانت منتشية فهى تتسلح لتفتك بزوج جديد ، وتنتقم من زوجة أوهمها خيالها أنها متعالية عليها .

إنها تقطن نفس العمارة التى تقطنها ، وقد جاءت إلى البيت لم تفكر فى أن تزورها أو تلتمس منها زيارتها ، إنها متغطرسة لا تود جيرانها .

تقابلا فى الدرج أكثر من مرة ، ولم تمد لها المرأة يدها تصافحها ولم تبش فى وجهها . كل ما كانت تفعله أن تحييها بأهدابها ، ولو تنازلت أومأت إيماءة خفيفة برأسها .

وأغاظ سوسن شموخها بأنفها ، وتمنت لو كسرته وأرغمتها على أن تطأطئ البصر فى ذلة ، أو حانت لها فرصة أن تقسو عليها حتى تسجد تحت أقدامها .

ولمحتها مرة مع زوجها ، وداعبتها فكرة سلبة ، وجعلت ترقب الزوج فألفته يمتلك سيارة يسيل لها لعابها وتشتهى أن تستحوذ عليها ، ورأت نفسها بعين خيالها راكبة إلى جواره وهى تقول له :

— سيارة فاخرة !

فيلتفت إليها ويقول :

— تفضلى .

فتقول له وهى تمد يدها تأخذ مفاتيحها :

— شكرا .

وغمرتها نشوة طاغية ، وراحت تغذى النبتة التى نبتت فى خيالها وترويها بكراهيتها للزوجة وكان ذلك هينا ، فنفسها تتفجر بالكراهية ، وماأيسر ماتجود بها .

ودبرت أمر ملاقاة الزوج فى الدرج ملاقاة تبدو مصادفة ، وابتسمت له وحيته . وتكررت المصادفة ، ثم كان اللقاء الأول .

لم يكن ذلك اللقاء هدف مغامرتها ، إنه البداية وإنها لتدبر الطريقة التى تقتحم بها على الزوجة دارها ، وأن تنتهز بعد ذلك فرصة غيابها عنه لتحتل فراشها ، فلذتها لا تبلغ أوجها إلا إذا دنست فرش الأخريات .

واكتملت زينتها ، وأدامت النظر إلى صورتها فى المرآة ثم ابتسمت ورمزت لنفسها بعينها ، وانطلقت إلى الباب وماأن فتحته حتى ألفت سهير أمامها . وتقدمت سهير ودخلت وجعلت تتفرس فيها وقد ملأ عبيرها الفواح أنفها . وأغلقت سهير الباب خلفها وقالت فى نبرة مضطربة :

— إلى أين ؟

والتفتت سوسن إلى الساعة فى معصمها وقالت :

— عندى موعد هام مع الخياطة .

فقالت سهير :

— أذهب معك .

وارتبكت سوسن وقالت :

— ولكنى سأذهب أولا لزيارة أناس ليست بينك وبينهم معرفة .

وتحركت مشاعر سهير وانفعلت وقالت :

— سوسن ، إنك تلعبين بالنار ، فكرى فى شرف زوجك .

وأحست كأن سهير لطمتها فقالت فى غضب :

— هذا شأن من شئونى لا أحب أن أتحدث فيه مع أحد .

ولم تأبه سهير بها ، وربت ثورتها فقالت :

— حرام عليك أن تمرغى شرفه فى الأوحال ، ثوبى إلى رشدك أتوسل إليك .

فقالت سوسن فى تأنيب وتحذير :

— سهير ..

واندفعت سهير تتحدث محمومة :

— لم يعد أمرك خافيا ، رأتك أحلام وأنت تفرين بعد أن دنست دارها . لن تكتم أحلام سرك ، ستتحدث وتوسع الأرض إذاعة ، وستصبحين مضغة فى الأفواه . جلبت لنفسك العار ، ولطخت زوجك بالأقذار ، ودست شرفنا بالأقدام ، ملعونة أنت أينما سرت وأينما حللت .

لست أختى ، لا لست أختى أبدا ، إننى بريئة منك ، بريئة من أوزارك ، بريئة من آثامك ، بريئة من دنسك وأوضارك .

ودارت الأرض بسوسن وكادت تنهار ، ولكن عز عليها أن تضعف أمام سهير فتجلدت وتحاملت ، وصاحت :

— اخرجى .. اخرجى من بيتى .

ولم تأبه سهير بها ، وراحت تصيح فى وجهها وقد اتسعت عيناها وصدرها يعلو وينخفض .

ـــ لا .. لن أبرأ من آثامك إلا إذا طهرت شرفنا بدمك . سأقتلك وأمحو العار ، ولن يذرف أحد عليك دمعة .

وفزعت سوسن وراحت تصيح كالمجنونة :

ـــ اخرجى يا مجرمة .. اخرجى .

وفتحت الباب .. وراحت تدفع سهير تطردها ، وسهير تردد فى حنق واحتقار :

ـــ عرسة ، عرسة ، عرسة .

وخرجت سهير وأغلقت سوسن الباب خلفها ، وقد بلغ قلبها حنجرتها ، علاها البهر ، وزاغت نظراتها ، وارتمت فى أقرب مقعد تلتقط أنفاسها .

وهبطت سهير مضطربة حزينة حتى الموت ، تستشعر هوانا واحتقارا بعد أن تيقنت أن سوسن قد هوت وصارت جيفة تنهشها الذئاب . إنها أختها وإن أعلنت براءتها منها من فوق سبع سموات ، وستقرن بها إذا ما تحدث عنها الناس . وأحست نفسها تدمى وكبدها تنفطر ، وتمنت لو أن خستها وقفت عند حد سلب فؤاد ، ولكنها جرت حتى نهاية الشوط وتردت فى الهاوية .

وسارت تجر رجليها جرا ، كانت مثقلة بالهموم والأحزان . ولمحها عمر ففر بعيدا حتى لا تراه . ولما اختفت عن ناظريه عاد يترقب ليتأكد أن سوسن وحدها ، ليصعد إليها يتوسل ويذرف الدموع بين يديها ، لعلها ترق لحاله وتجود بالوصال .

سلبت إرادته ، لم يعد له على نفسه سلطان ، وصارت أعز أمانيه أن يكتم أنفاس النداء الذى يتردد فى روحه ، أن يطفئ الظمأ الدائم الذى يحسه ، أن يسعد بالوصل لحظات وإن ذل وهان .

وجمع أطراف تهوره ، وقبل أن ينطلق لمحها هابطة فخفق قلبه ، وسرت قشعريرة فى جسمه ، وانتشر خدر فى مشاعره ، وصار كعباد الشمس يتبع معبودته أينما سارت .

وانسابت فى رشاقة بعد أن هدأت نفسها وأدت مخاوفها ولوت شفتها استخفافا ، فما كانت سهير لتخيفها أو تبدل حياتها وإن آلمتها وحركت مخاوفها لحظات لا تكاد تحسب فى عمر الزمن .

وراح عمر يتبعها من بعيد ، يترقب أن تبتعد عن زحمة الناس أو تعرج فى طريق هادىء ليهرع إليها يبثها لواعج نفسه ، ويتوسل إليها أن تطفئ نار الحرمان التى يصلاها وأن تنتشله من العذاب . وعرجت إلى طريق جانبى فراح يوسع من خطوه ليلحق بها ، مرهف الحس متوتر الأعصاب يوجس خيفة ، آه لو أوصدت أبواب رحمتها دونه لكتب عليه الشقاء .

واقترب منها يستجمع نفسه التى طارت شعاعا ، وقبل أن يسيطر على حواسه لمحها تتجه إلى سيارة أنيقة فاخرة ، وفتح الباب وقفزت إلى جوار الجالس خلف عجلة القيادة ، وأغلق الباب وانطلقت السيارة .

وتدفقت الدماء الحارة إلى رأسه ، وغامت عيناه بسحب كثيفة من الغضب حتى لم يعد يرى ما حوله ، وراح قلبه ينز مقتا ، ولفه هوان ظل يضيق عليه الخناق حتى كاد يكتم أنفاسه .

ورن فى أغواره صوت أحلام : « أنت جيفة نتنة ، روح متقيحة ، نفس شريرة » فتلوى وأن ككلب جريح ، وأرهق حتى أحس أنه سينهار .

ودار على عقبيه وهو ذليل ، تحجرت مآقيه وإن سالت دموعه فى روحه تلسعها كشواظ النار ، وانصرف حانقا ثائرا منقبضا وإن لم يحزم أمره على أن ينساها وأن يجد لنفسه سلوى بعيدا عنها .

٣٠

قالت له سوسن فى دلال :

ـــ إلى أين ؟

فقال فؤاد وهو يتأهب للخروج :

ـــ ذاهب للقاء عمر ، ضرب لى موعدا فى مكان بعيد ، ولا أدرى ماذا دهاه .. تغير وصارت تصرفاته عجيبة بعد أن خاصمته أحلام .. إنى أشفق عليه .

وسار بضع خطوات ثم التفت وقال :

ـــ قد أتأخر الليلة قليلا .

واستأنف سيره ، ونادت سوسن :

ـــ فؤاد ..

فالتفت وقال :

ـــ نعم .

ـــ منذ متى تخرج هكذا ؟!

ورنت إليه رنوة ساحرة فقال وهو يعود إليها :

ـــ آسف .

ومال عليها يطبع على خدها قبلة ، ولكنها تعلقت به . وغابا فى قبلة طويلة ، ثم نظرت إليه وقالت :

— مع السلامة .

فقال وهو يمد شفتيه :

— لا . لن أتحرك قبل أن تمسحى أثر الأحمر .

وتناولت منديله ومسحت به شفتيه ، وتلوث المنديل بالأحمر .

فتناوله وراح يقبله فى يده ويقول مداعبا :

— ماذا ستقول زوجتى عندما ترى هذا المنديل ؟

فقالت وعلى شفتيها بسمة :

— لن تقول زوجتك شيئا لأنها تثق بك .

وخرج وهو يشير لها بيده وجلست على مقعد كبير وغاصت فيه ووضعت ساقا على ساق . وتناولت مجلة راحت تقرأ فيها .

وتقضى بعض الوقت ، ودق جرس الباب . فقامت وفتحته ، ووجدت عمر أمامها فقالت له :

— خرج فؤاد الآن .

فقال وهو يبتسم ابتسامة باهتة :

— أعرف أنه خرج لملاقاتى .. أرسلته بعيدا ليخلو لنا الجو .

ودفع الباب ليدخل ، ولكنها قالت وهى تغلقه فى وجهه :

— آسفة .

ودفع الباب فى شدة ودخل ، وأغلقه خلفه وهو يرنو إلى سوسن فى وله ، ولم تضطرب ، وقالت له :

— ماذا تريد ؟

فقال وهو يدنو منها ، فى صوت متهدج ذليل :

ـــ أريد أن أسعد بقربك ، أن أحس وجودك ، أن أطفىء النار المتأججة فى جوفى ، أن أعود إلى جنتك .

فقالت فى إصرار :

ـــ إن لم تخرج سأبلغ زوجى .

واستولت عليها الفكرة ، عزمت على أن تبلغه سواء خرج أم بقى يتوسل . إنها بذلك ستقضى على العلاقة التى بينهما ، وستوغر صدر زوجها عليه ، وستتمكن من أن تسد أذنيه عن الاتهامات التى قد توجه إليها . لن تخشاه بعد اليوم ، ولن تخشى سهير ولن تخشى أحلام ، فهم جميعا أعداؤها الذين يعملون على زلزلة حياتها وتقويض سعادتها : لقد وصم عمر نفسه بتدبير إبعاد فؤاد عن بيته ومجيئه إليها ليراودها عن نفسها ، أما سهير فهى شانئة لفوزها به دونها ، وأحلام امرأة تقتلها غيرتها .

أصبح فؤاد يحبها ويصدق كل كلمة تتفوه بها ، وما أيسر أن تغرس فى نفسه كل هذه الأباطيل وتقوده حيث تشاء .

وراح عمر يتوسل :

ـــ سوسن ، لا حياة لى بدونك ، فلماذا هذا الصد وليس لى جريرة إلا أننى أحببتك ، تفتح لك قلبى ، وانسللت إلى روحى ، وسرى حبى لك فى حناياى مسرى الدم . أصبحت كل أمانى فى دنياى أن أنال رضاك ، أن أقضى ما بقى من حياتى أحترق بنار هواك ، أن أظل العابد الذى لا يكتفى بعبادة معبوده بل يشتهيه ويفنى فيه .

فقالت له سوسن وهى تشيح بوجهها عنه :

ـــ عمر ، اخرج أرجوك .

فقال فى انفعال :

ــ ماأقساك ! أأصد عن الماء والرى مبذول ؟ أيوصد فى وجهى باب جنتى ويفتح للآخرين؟ إننى أحترق ، غيرتى تنهش جوفى ، الظمأ يعذبنى والحرمان يضنينى ، وقلبى المجروح يتلمس البلسم .

أريدك .. أريدك ياسوسن ، ولن أبرح هذا المكان قبل أن أروى غلتى ، وأسكت صراخ الوحش الكامن فى أعماقى ، الذى أطلقته من عقاله ، وزدته ضراوة وافتراسا .

ومد يده يلتمسها ، فقالت فى تهديد :

ــ حذار وإلا أطلقت صوتى وجمعت الجيران .

فقال وهو يرتجف :

ــ ماالذى غير قلبك ؟! لماذا هذا النفور ؟ إننى عمر لم أتبدل ولم أتغير . ولكن لا .. تبدلت وتغيرت ، كنت عاقلا فسلبت عقلى ، كنت شريفا فسلبت شرفى ، كنت كريما فسلبت كرامتى ، كنت وفيا فسلبت وفائى ، وإننى لست نادما على ماكان . ضحيت كل ذلك فى سبيل حبك ، وإنه ليسرنى أن أضحى بكل شىء فى سبيل رضاك . أريدك أن ترضى .. أريدك .. أريدك ..

وحاول أن يضمها إليه فقالت وهى تصده :

ــ ولكنى لاأريدك ، زهدتك ، عافتك نفسى ، ولم أعد أشتهيك .. اخرج ..

وثارت كرامته المطعونة فقبض على عنقها وغاب عن الوجود ، لم يكن يحس مايفعل ، وراح يضغط على عنقها وهو يهتف فى حب ووله :

ــ سوسن .. سوسن .

وصرخت صرخة مدوية مفزوعة ، ولكنه لم يسمعها . كانت كل حواسه مركزة فى إحساس غامض مخدر ، واشتد ضغط يديه على عنقها وهو يهتف فى رقة كأنما يناجيها :

— سوسن .. سوسن .

وخارت قواها ، وراحت تنهار وهو ينهار معها ، حتى سقطت على الأرض وهو فوقها ، يضغط على عنقها بكل ماأوتى من قوة دون أن يدرى .

وتتابع الطرق على الباب ، واشتد دفعه ليفتح ، فقد مزقت صرخة سوسن آذان جيرانها ، ولكن عمر كان مشغولا عن كل ما حوله بسوسن ..

وانقشعت الغيبوبة التى استولت عليه لحظات ، وصك أذنيه أصوات قرع الباب وصياح الناس فانتبه مذعورا ، ونظر إلى سوسن الملقاة على الأرض وقد جحظت عيناها وسكنت إلى الأبد فحذر كل شىء ، انخلع قلبه لما تيقن أن العابد قتل إلٰهه فى لحظة جنون ، دون أن يفنى فيه .

وجزع . وانتابه يأس ولفه حزن عميق ، ونظر إلى سوسن فى حنان ، ثم دفن وجهه فى صدرها وراح يبكى وينشج فى عصبية وكل جسمه يهتز .

غرفة أنيقة بها مقاعد وثيرة طويلة ، صنعت حشاياها من المطاط ، وفى ركن منها شجرة قصيرة من المعدن تدلت منها المصابيح الكهربائية ، وجلس على مقعد منها جلال وإلى جواره فتاة فى التاسعة عشرة ، جميلة ولكنها أسرفت فى زينتها ، وأمامها نضد فوقه جردل به زجاجة حولها ثلج ، وكأسان ملئتا سائلا اشقر .

وعلى مقعد قريب جلس رجل آخر وفتاة أخرى ، كان الرجل أصلع الرأس تمرر الفتاة أصبعها على صلعته وترفع الكأس إلى شفتيها بيدها الأخرى . إنها تضحك بسبب وبلا سبب ، ولكن ضحكاتها كانت أشبه بالعويل .

ورفع جلال ذقن الفتاة بأصبعه وراح يتفرس فيها مليا ، ثم قال :

ـــ إنى أحترم الآباء الذين ينجبون فتيات جميلات حسان .

وقال الصديق وهو يضحك :

ـــ ولماذا لا تحترم أمهاتهن ؟

وضحكت الفتاة التى كانت تداعبه . وقال جلال :

ـــ تأتى الفتيات للآباء والأبناء للأمهات . فإذا كان الأب جميلا جاءت البنات جميلات ، وإذا كانت الأم جميلة والأب دميما جاءت الفتيات دميمات ، والأبناء جملاء .

وضحك الصديق وقال :

ـــ هذه نظرية جلال فى الجمال .

فقالت الفتاة التى يداعبها جلال :

ـــ هذه نظرية الكأس . اشرب ياأستاذ .

قال جلال فى إصرار :

ـــ أجزم أن أباك جميل .

فقالت الفتاة :

ـــ كان أبى يشبهك .

وضحك الصديق ضحكة ساخرة وقال :

ـــ كان جميلا ولا شك .

وأحس جلال كدرا ، ضايقته فكرة أن يكون أباها أو أن يشبه أباها ، كان يبتهج إذا ما انفرد بفتاة شابة صغيرة ولكنه لم يفكر من قبل فيما يكون شعوره لو كان أبا لإحداهن ، وقال جلال ليفر من سحابة الكدر التى مرت به :

ـــ كان ؟ وأين هو الآن ؟

ـــ مات وأنا صغيرة .

ـــ الله يرحمه .

وراح يمرر يده على عنقها ليحس وجودها ويعيد البهجة إلى صدره وقال :

ـــ ما خلق هذا الجيد إلا ليزين بأفخر القلائد .

فقال الصديق وهو يرنو إلى جلال رنوة خاصة :

ـــ خير ما يزينه قلادة من الفل :

وفهمها جلال فقال :

ـــ لو كان عندى مال لاشتريت لها قلادة من ماس .

فقالت الفتاة :

— أوليس عندك ؟؟

— كان عندى بيتان .

— كان ؟ وماذا حدث لهما ؟

— تحولا إلى أساور وأقراط وقلائد .. إلى نهر من الخمر .

فقال الصديق وهو يضحك :

— لو كان فى يد أمك سوار أو فى أذنها قرط أو فى عنقها قلادة ، فهى هدية منه .

وقهقه وضحكت فتاته ، واربد وجه الفتاة وقالت :

— بالله دعوا أمى فى حالها ، أقسم أنها سيدة فاضلة .

فقال جلال وهو يضمها إليه :

— دعونا مما يكدر صفونا ، نحن هنا .

ومال عليها يقبلها .

ودق جرس التليفون فقال جلال لصديقه فى حنق :

— قلت لك مرارا ألا ضرورة هنا لهادم اللذات هذا .

وسار الصديق إلى التليفون ، والعيون تتبعه ، ورفع السماعة وقال :

— آلو . من ؟ تريد جلال ؟ حاضر .

والتفت إلى جلال وقد أبعد التليفون عن أذنيه ، وقال جلال دون أن يتحرك :

— غير معقول أن يطلبنى أحد هنا . دع الهزر .

فقال الصديق :

— والله يطلبونك .

— لا أحد يعرف أنني هنا إلا جرسون القهوة ، ما الذى دعا هذا المخبول ليزعجنا الساعة !

ونهض ، وذهب إلى التليفون ، وتناول السماعة وقال :

— آلو .. آلو .

ومس أذنيه صوت مضطرب :

— آلو ! جلال بك ؟

— نعم يا ستورو .

— بالله تذهب حالا إلى البيت .

— لماذا ؟

— يبحثون عنك فى كل مكان .

— لماذا ؟ انطق .

وانبثق القلق فى قلب جلال ، وطارت الخمر من رأسه وراحت عيناه تتحركان فى حيرة ، وقال صوت ستورو :

— الهانم الكبيرة ..

— امرأتى ؟ ماذا حدث لها ؟

— لا ، سوسن هانم .

— قل .. ماذا جرى ؟ ما الذى حدث ؟

وارتجف جلال من قمة رأسه إلى أخمص القدم ، وقال ستورو :

— خنقها عمر .

— خنقها !؟ ماتت !

— البقية فى حياتك يا جلال بك .

وسقطت السماعة من يد جلال ، ودق قلبه فى رهبة ، وانفطرت كبده ، وجف حلقه ، وربا أساه حتى تحجرت دموعه فى عينيه .

ودارت به الأرض وكاد ينهار ، فخف إليه صديقه يسنده ويسأله :

ـــ من التى ماتت ؟

فقال كأنما يلفظ روحه :

ـــ سوسن .

ثم انفجر باكيا كالأطفال ، وسار مطرقا حزينا والها يستشعر خزيا .. ووقفت الفتاتان تنظران إلى الرجلين اللذين ينسحبان من المكان وفى عيونهما رعب وعلى شفاههما صمت مطبق .

٣٢

خرج فؤاد من قسم البوليس بعد أن أدلى بأقواله لوكيل النيابة مطرق الرأس ، حزينا حتى الموت ، يستشعر خزيا ويحس أنه منبوذ ، ماأن تقع عينا إنسان عليه حتى تسرى فيه رعشات ، ويتفصد من جبينه عرق الخجل ، وتتقاصر نفسه ، ويتمنى لو أن الأرض تنشق وتبتلعه .

كان حانقا ، نفسه سوداء كليل سرمد ، والمرارة تلذع روحه ، والضيق بكل شيء طابعه ، حتى ذاته ضاق بها . تقوضت فى لمحة كل آماله ، وتدنس ماضيه ، وانهارت مثله ، وكفر بالمقدسات جميعا . لماذا اختاره الله هو بالذات لهذه التجربة القاسية ، والمحنة التى تنقض الظهر وتلطخ الجبين بالعار ؟ لماذا هو دون ملايين البشر الذى كتب عليه أن

يفجع فى الزوجة وأن يفجع فى الصديق وأن يحتقر ويهان ويصبح سخرية الناس بدل أن تذرف من أجله الدموع ؟

كفر بالحب وكفر بالصداقة وكفر بالوفاء ، ولم يعد يؤمن إلا بالبغض والمقت والكراهية التى تسرى فيه كالصديد . صارت روحه نخرة يجرى فيها السوس ، وذاته دنيئة مشوهة تنفر منها النفوس .. إن كل نظرة تسدد إليه تصرخ فيه : « ديوث .. ديوث » .

وبلغ ألمه غايته فكاد يصيح فى الطريق كالمجنون ، وخيل إليه أن كرافتته هى التى تخنقه فراح يرخيها ويفك ياقة القميص ، ولكن لم تخف القبضة التى كانت تضغط على أنفاسه ، إنه يتعذب عذابا قاسيا لا رحمة فيه . جميع المشاعر القاسية الكريهة المقيتة تلهبه بسياط من نار وتصب فى جوفه الحميم .

لماذا يتحمل هو العذاب وما اقترف ذنبا ولا قارف إثما ولا حاد عن الطريق ؟ خانته وخدعته وسخرت منه ، ومرغت شرفه فى الوحل وعبث كأس الدنايا ، ثم تموت وتتركه للخزى والعار والعذاب الأليم .

تموت وتستريح بينما هو يتلظى بنار السعير ، أهذا عدل ؟ ليته يموت وينجو من الضنى الذى هو فيه .

وأحس دوارا وتحركت أحشاؤه وكاد ينوء ، ولم يرحمه قلبه بل راح ينزف مشاعر سوداء تلسعه كجمرات النار ، وتخزه كسنان الحراب ، وتنهشه ككلب مسعور .

وأن أنينا وهمس فى ضميره هامس : هذا ظلم وجور . ظلم رمانى به القدر الذى اختلت فى يده الموازين .

فوضى .. فوضى .. فوضى .. ، وإلا ماذا جنت يداى حتى أستحق ما أنا فيه ؟

وراح يحاسب نفسه وإذا بصوت اتهام يشير إليه ويقول :

عذبت سهير عذابا أليما بلا ذنب اقترفته ولا جناية جنتها ، هجرتها عدوانا وظلما .

واشتد جزعه وربا قلقه وزاد اضطرابه وراح يتساءل : أأحست سهير يوما الحقارة التى أحسها ؟ آستشعرت هذا الحزن الثقيل الذى أنوء بحمله ؟ أأفزعتها الرؤى البشعة التى أطارت النوم من عينى ؟ أقرحت عينيها الدموع التى تحجرت فى مقلتى لتزيد فى إرهاقى وضناى ؟ أمزقت قلبها الخناجر التى لا تفتأ تطعننى ؟ ألذعتها عقارب الكراهية التى تأكل صدرى ؟ أخبت آمالها كما انطفأت آمالى ؟ أنزف فؤادها ألما ممضا كما نزف فؤادى ؟ أتحركت كوامن روحها بالشجن كما تحركت كوامن روحى ؟ آظلمت الدنيا فى عينيها كما هى سوداء بشعة بغيضة فى ناظرى ؟

إننى ضائع .. ضائع ، أتخبط فى دياجير نفسى المشوهة المطعونة المحقرة المظلومة الظالمة ، الضعيفة المتهالكة ، التى ينخر فيها سوس الكفر والحنق واليأس والبغضاء .

لو أن سهير كابدت ما أكابده الآن إذن فقد ظلمتها ظلما عظيما . كنت باغيا فدارت علىّ الدوائر ، كنت قاسيا فقست علىّ الأيام . كنت نذلا فجرعنى الله من نفس الكأس التى أسقيتها منها .

وأحس حاجته إلى صدر حنون يدفن فيه وجهه ويبكى ، حتى يستريح من وطأة الأحزان الجاثمة على صدره التى تكاد تنقض ظهره ، فتذكر أمه . وزاد أساه ، فقد ماتت وهو صغير وحرم من أطيب حنان .

وانطلق وهو ضائع حائر قلق جريح يستشعر خسة ، يضرب فى بيداء الحياة يائسا بائسا وحيدا منبوذا ، تشعبت فى حناياه كراهيته لنفسه وللبشرية جمعاء .

وكانت سهير فى غرفة من غرف القسم مع أمها الثكلى التى ارتدت ثياب الحداد ومع أبيها الذى عرف الحزن طريقه إلى قلبه ، ولمحت فؤاد وهو خارج ينظر إلى الأرض فى خزى ، فخفق قلبها إشفاقا عليه ، وتألمت له أكثر من الألم الذى أحسته لفقد أختها .

ولم تستطع أن تكبح الرغبة التى ولدت فى صدرها فقامت منسلة ، وغادرت الغرفة ووقفت برهة ترقبه خافقة القلب ، شاردة اللب ، تفكر فى المشاعر التى عادت لتنبض بالحياة ثانية فى أغوارها .

إنها لا تزال تحبه ، حتى إنها راحت تتهم نفسها بأنها هى السبب فيما يقاسيه الآن من عذاب ، وهى التى قادته إلى سوسن . لولاها ماعرفها وما وقع فى حبائلها ، وما كان ما كان . كانت مخلب القط للقدر الذى يخط مصائر الناس .

وغفرت له ما فعله ، وأقنعت نفسها أنهما هو وهى كانا ضحيتين لظروف أقوى منهما ، ألقتهما فى أتون من النار لتصهرهما ، وتخلصهما من الخبائث ليصبحا أطهر قلبا وأنقى معدنا وأصلب عودا .

وهمس فى جوفها هامس : إن لذة الوصول على قدر ما فى الطريق من مصاعب ومتاعب وأهوال ، ولذة النصر على قدر ما فى المعركة من كفاح ونضال وأخطار .

وسارت خلفه مسحورة ، تحس أنها خلقت خلقا آخر ، أكثر تجربة

وأكثر حنكة وأكثر تسامحا ، وأعمق حبا من تلك الفتاة التى قادتها المقادير إلى ذلك الشاب الخام .

ودنت منه وقد اشتد وجيب قلبها ومشى الخدر اللذيذ فى أوصالها ، وقالت فى صوت مضطرب :

ـــ فؤاد ..

وانتفض كعصفور أزعجته طلقة رصاص ، ولم يجد لسانه ، وأمات اضطرابه وقلقه الكلمات التى تراقصت على شفتيه ، وكان رده أن زاد اطراقا .

وسارت إلى جانبه ، وعجزت عن أن تكبح جماح رغباتها الثائرة الطاغية بالحنان ، فمدت يدها وقبضت على يده ، فارتجف ولكنه أحس راحة ، وراح يضغط على يدها . فقد تسلل إلى دياجير الظلام المتراكم فى أغوار نفسه بصيص من النور ، واستشعر أنه لم يعد يواجه العالم .. إنه يواجهه ويسنده قلب خافق بالحب ، وهذا أمضى سلاح .

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

رقم الايداع ١٥٤٣
الترقيم الدولى ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

الثمن ٤٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه